

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

مسرحيات شكسبير



ضجة فارغة

ترجمة: عباس حافظ



دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina



0148457

مُروحيَات شڪسٻر

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

ضجة فارغة

ترجمة
عباس حافظ

مراجعة
محمد بدران شفيق غربال

الطبعة الثانية



دار المجامع

كلمة الناقل

أسلوب شكسبير في قصصه المأجنة

لم يكن شكسبير حين كُلفت نقل قصة منه غريباً عنى ، فقد قرأته على عهد الشباب ، كما يقرأ الشاب الكتاب خطفاً ، ويستعجل خاتمته شوقاً ولهفاً . وعدت أقرؤه في المشيب ، بتدقيق وتروٍّ ؛ وأمضى في قراءته ، على مكث ، لأن نظرة الشيخ عن لمحة الشباب ، مختلفة . فلا عجب إذا وقعت اليوم فيه على معان لم أقع من قبل عليها . ورأيت يتجدد في خاطري ، أبلغ مما بدا ، والنظرة عجلي ، والحماسة له مسرعة ، والإعجاب به لا ينتظر كل العلم ، ولا يقف حتى تتم المعرفة .

وكنيت قد أدركت في الشباب أن قصصه المحزنة ملأى بمواقف للحكمة ، ومواطن للفلسفة ، ومشاهد لقوة الكلمة ، وسلطان البيان . وأن المأجنة منها مفعمة مزاحاً ، مترعة طرائف وألاعيب وأفراحاً . فهي دون الأولى براعة وأقل منها حذقاً . فلما تناولت إحداها لنقلها ، وجدت القوة في النوعين مؤتلفة ، وتبين لي أن نقل مأساة أيسر لمن أوتي روعة العبارة ، وسعة اللفظ وقوة التصوير . لما في القصة المأجنة من ضروب هزل تختلف كثيراً عن مثلها في العربية ، وأساليب دعاية ، وألوان بديع ، تأتي على الناقل .

رأيت هذه القصة مليئة جناساً ، من كل نوع ، حتى في اختلاف
الذوق ، وتباين التهجية ، وأصعب شيء أن تنقل جناساً في الإنجليزية ،
إلى مثله في العربية ، وتحفظ بالتمثيل المراد فيهما ، والتشابه اللفظي بينهما ،
فلا معدى لك من محاولة التقريب ، أو إن شق عليك ، من شرح العبارة
للقارئ .

ورأيته كذلك قد ازدحمت بفنون من « التورية » ، وهي لا تكاد
تنقل إلى العربية لاستحالة التماثل فيها بين اللغتين . كما كثر فيها التلميح
لأمثال قديمة أو أساطير غابرة ، أو عبارات مقتبسة من كتب ، أو أبطال
خرافيين .

وقد عانيت كثيراً في ذلك كله . وعانيت بالهوامش والشروح قدر
عنايتي بالمتون ، ولم يسعني الشراح في بعض الأحيان ، لأن عبارات
بأعيانها أعجزتهم ، أو استغلق المعنى الحقيقي فيها عليهم . فاجتهدت في
حل ألغازها مع المجتهدين .

وتكاد هذه القصة تدنو من « المأساة » أو القصة المحزنة لأنها قائمة
على « اتهام » بريئة ، وفضيحة عروس وهي أمام المحراب توشك على
زفاف . وليس عجباً أن يختلط فيها العنصر الجدى بالعناصر الفكاهة ،
لأن ذلك هو ما فعله المؤلف في أكثر من قصة هازلة ، ونحن أبدأ من
شكسبير في عجب عايب ، فهو لا يضع رواياته مصنفة التصنيف الذي
عرفناه ، بين مسلاة ، وملهاة ، ودراما ، أو ميلودراما ، عند المؤلفين

الذين سبقوه ، كميناندر وبلوتاس أو الذين جاءوا من بعده مثل كالديرون أو مولير . أو كونجريف أو شريدان ، بل نحسب كل ملهاة أدنى ما تكون إلى الحزن أو ألم القلب ، أو أحياناً إلى القلب الكسير ، فهو كذلك في قصته « كوميديا الأخطاء » ، وهو أيضاً على هذا النحو في « جهد حب ضائع » و « الليلة الثانية عشرة » .

ولكننا في كل هذه الروايات الفكهة لا يخامرنا، لحظة، الشك في أن النهاية ستأتى سعيدة ، والخواتيم ستعود موفقة حسنة . وهذا هو ما نلمسه من بداية قصتنا هذه . فليس ثمة مخادعة تضللنا ، ولا خطأ يواجهنا ، ولا مباغطة تبدهنا قبل أن نستعد لها ، ولا أزمة نجعل سرها كما يجهلها أبطالها . بل كل أكذوبة تقال نعرفها قبل سماعها . ولا نشك في أنها ستُكشف وتبدو مع السياق حقيقتها . ففي قصة الكيد الذى كيد لبيرو تبدو الحوادث في ظواهرها محزنة ، ويراهنا أشخاص القصة أنفسهم كذلك ، أما نحن الذين نعرف دقائقها ، فلا نجعل أنها لا تزال في الدائرة التى تستمد منها « المسلاة » مادتها . لأن المأساة هنا تأتى إلينا بعد استعداد تمهيدى لها ، فلا يصاحبها انفجار فجائى ، ولا يقتضى الموقف خاتمة مخففة من وقعه ، كما يحدث في أحد فصول « تاجر البندقية » .

ويصح لنا هنا أن نصف قصتنا هذه بقولنا إنها قصة تدور حول « مخادعة النفس » ، لأن شخصيتين فيها ، وهما بياتريس وبنيديك يظلان محاولين معرفة قلوبهما ، وكشف خبيثة عاطفتيهما . وفي هذا النوع

من المسرحيات لاغنى للمؤلف عن البدار إلى تعريف النظارة بالأمر ليكونوا طيلة الوقت أعرف به من أشخاصها. وقد عرفنا من مطالعها فعلاً أن بياتريس تحاول جاهدة إخفاء عاطفة صادقة ، فلا نلبث أن نحس أن هذه الساخرة المهكمة العابثة لن تمضى في عبثها إلى النهاية ، بل ستقلب إلى الجلد ، وترفع الستر عن خدر حبها الدفين .

وإذا نحن تذكرنا هذا كله ، استطعنا أن نفهم نقد الشاعر كولريديج لشكسبير من ناحية عنصر « الحادثة » في رواياته ، فهو القائل : « إن كل اهتمامنا بالحادثة عند شكسبير منصب على الأشخاص ، لا عليها بالذات ، كما هو الحال في روايات الكتّاب الآخرين جميعاً . فليست الحادثة عنده إلا قطعة من قماش يرسم عليها أشخاصه ، ومن هنا ينهض الشفيح له في رسم شخصيتي بياتريس وبنيديك من نسق واحد وإبرازهما متماثلتين في نزعة الغرور والكبرياء ، وإذا أنت نزعنا من هذه القصة كل ما هو تزيّد ظاهر ، وحشو لا ضرورة له ، أو ليس ثمة حاجة بالغة إليه ، أو على أحسن الفروض ، شخصيات الشرطي وزملائه الذين أدخلوا عليها افتعالاً ، وكان أقل منهم غباء كأشرط وحراس وافين بالغرض ، فإذا يبقى بعد ذلك فيها .

لقد شهدنا في روايات الكتّاب الآخرين أن المحرك الأكبر في « الحادثة » أو « العقدة » هو دائماً البطل أو الشخصية البارزة ، أما عند شكسبير فليس الأمر أبداً كذلك . وقد يكون أحياناً كذلك . أى أن

الشخصية ذاتها هي التي تتألف الحادثة منها ، أو قد لا تتألف . فقد جعل شكسبير « دون جون » في هذه القصة الأصل في الحادثة ، ولكنه جاء به عارضاً ، ثم سحبه فلم يعد يسوقه إلينا وإن بدا العنصر « الشرير » فيها . وتركه شكسبير بغير مبرر للشر الذي ينزع إليه ، أكثر من وصفه بأنه أخ غير شرعى للأمير ، وشخص سوداوى حاقد مريض العاطفة . وعجيب من الشاعر الذى خلق لنا بعد ذلك شخصية « ياجو » فى رواية « عطيل » أن يدع « دون جون » بغير دافع ظاهر ، أو شفاعاة واضحة . والظاهر أن النقاد لم يفهموا شخصية « بياتريس » على حقيقتها . لقد وصفها الشاعر « كاميل » بأنها « مستهجنة » . وأن المرأة الطبيعية لا يمكن أن تكون كذلك . ومن قبله ذهبت كاتبة تدعى « مسز أنشبالد » تقول : « لو كان عند بنيدىك وبياتريس أدب ، أو ذوق ، أو رفعة خلق ، وأبيا أن يسترقا السمع على غيرهما ، لجمدت القصة فى مكانها ، أو لاقتضت طريقة أخرى للسير بها فى مجرى صالح » .

ولم نكن نرتقب من « جول ليمتر » النقادة الفرنسى الكبير أن يسير فى هذا الطريق ذاته ، فيقول عن بنيدىك وبياتريس إنهما « لا يطاقان » بل همجيان يرميان إلى الترائى بالمجون والذكاء ، و « حيوانان ماكران » . . ولكن الرد على هؤلاء النقاد يسير ؛ وهو أن شكسبير فى مطارحات الحب يجرى على طريقة واحدة ، فى مختلف مسرحياته ، وهى طريقة « اللف والدوران » أو الاستخفاء . فقد اتخذها فى « جهد حب ضائع »

وفى « عطيل » ، بل أيضاً فى « روميو وجوليت » حين جعل الشرفة فاصلاً بينهما ، ولا يمكن أن يفوتنا من بداية قصتنا أن بياتريس امرأة . وأنها ينبغى أن يُظفر بها ، بل لا نتصور لحظة واحدة أنها قد قُدر عليها أن تجلس فى ناحية باكية والهة منادية « ألا من زوج . . ألا من زوج ! » فإن كل ذكاتها الساخرة تدور حول هذا الأمر بالذات ، كما لا يفوتنا من البداية أن « بنيديك » هو الرجل الذى تريده وأنه الفتى الذى قُدر لها أن تحبه .

وليست مِجانتهم فى الواقع إلا مجانة شكسبير نفسه ، ولو جردنا أنفسنا من « الوثنية » ، أو عبادة العبقرية ، عند التحدث فى أبلغ مراتب الإعجاب عن شكسبير لأقررنا أن مجونه ، كما يبدو على ألسنة شخصياته المضحكة ، ومهاذير قصصه ، كان المادة التى تتألف منها الأساليب الشائعة فى بلاط الملوك على عهده ، ومجالس الأشراف والعلية فى زمانه . ولنتصور فتى من الريف تلوح عليه مخايل الذكاء ، أو بواذر العبقرية ، جاء إلى لندن ليجرب فيها حظّه ، فإذا هو يجد لهجة الكلام بين السادات ، وأهل البلاط ، وعلى المسرح الملكى ذاته ، ملأى بفنون « التورية » و « الجناس » والكلام المنمق ، فلا غرو وهو الفتى المتلهف على الظفر بمكانة مرموقة إذا هو التقط هذا النوع من الكلام ، وراح يحذقه ويبرع فى فنونه ، ويملاً مسرحياته الفكهة بأعجب ألوانه .

ولسنا ننكر أن فى مطالع هذه القصة التى نقلها شيئاً من التنكيت

« الرخيص » . ولكن إذا نحن نفيناها منها ، أو « غربلناه » ، وراعينا أن بياتريس وبنيديك لم يكن بينهما غير « مراشقات » بالنكت ، ووقفنا عند مشهدهما وهما يكشفان عن قلبيهما الصادقين عقب انصراف الجمع من الكنيسة ، أدركنا مدى التأثير الذى يتجلى من خلال ذلك التظاهر بالسخرية ، واصطناع الاستهزاء المتبادل بينهما .

ويُروى أن جماعة من الأطفال والولدان شاهدوا هذه الرواية تمثل على المسرح وكان أحد الممثلين القديرين يؤدى دور « بنيديك » ، فلما انتهى التمثيل وصحب الأطفال إلى المحطة أحد مدرسيهم ، وقفت صبية فوق الإفريز ورفعت صوتها ، كأنها من فرط السرور فى غيبوبة ، قائلة : « لا يتصور أحد رجلاً بديعاً على هذه الصورة . . . » وهى شهادة توحى بأن أحسن ما فى شكسبير لا يزال شيئاً يستطيع الطفل أن يقرأه ، أو كما قال الأديب « تشارلس لام » : « درساً مليئاً بكل خيال بديع ، ورأى جميل ، وفعل نبيل . . . »

ولا نستطيع أن ننسى أن لهذه القصة بالذات مزية انفردت بها عن سائر المسرحيات الأخرى التى كتبها الشاعر ، وهى أنها من أولها إلى آخرها إيطالية . وأدنى ما تكون من روح التهضة أو البعث الأدبي الذى ظهر فى الغرب بعد القرون الوسطى ، حتى لتجد كل أشخاصها يتكلمون من « الكتب » ، وهم جميعاً قراء حتى النساء منهم ، أو على الأقل « بياتريس » فهى قد قرأت « المائة نادرة » ، وبنيديك فهو يتحدث عن « لياندر » ،

و « ترويلاس » وينظم شعراً . وكلوديو شاعر كذلك ، فهو ليعلقها على قبر الفتاة المسكينة التي قتلها بقسوة تهمته . ولم يكن مفر لشكسبير ، وقد أبرز روح تلك النهضة الماجن ، من اقتباس الغدر الإيطالي ، فجاءنا بشخصية « د والمكيدة التي دبّرها للفتاة ، ولقد ألف شكسبير تكرار نفسه في فهو يردد أشياء في هذه ، كان قد جاء بمثلها في تلك ، مع تنويع ينفي الملالة ، ويحفظ الجدة . فلا يمكن أن يقال إن هذا آلة دليل نقص في الخيال ، أو عوز إلى الابتكار ، ولكنه في الوثورة ، أو مراجعة حساب ، وهو لا يأنف أن يستعير حادثة من أ أو أي إنسان ، كأنما يقول « أعطوني » قصة إيطالية ، أو أفلو طرخس ، أو نادرة من أساطير الهند ، وأنا أصطنع لكم منها ، أو « هملت » ، أو « روميو وجولييت » .

وهكذا نرى هذه القصة ملأى بالأصدية ، ونشهد أصد في آفاق غيرها من قصصه ، فليست شخصيتا بياتريس وبنينا صورة أخرى من « بيراون وروزاليند » ، كأنما قد مضى الشاء من كيس نقوده ، ويأخذ من حرّ ماله ، ويهب منه أبطاله ، بخياله ، ويتقدم إلى الخلود مؤمناً بأنه الجدير به ، الظافر من البشر باق على الزمان . . .

عباس -

حياة شكسبير

كتب خلق كثير عن حياة شكسبير ، واختلف الرواة فيها أيما اختلاف ، ولست أريد أن أعرض لهذا كله : أو أتقصاه من جميع جهاته ، ولكنى سأجتزئ هنا بالوقائع الثابتة . والأحداث المحققة ، فلا أتحدث عن آبائه الأولين . فإن هذا الاسم « شكسبير » كان شائعاً في القرون الوسطى مدوناً في عدة أقاليم من الجزيرة البريطانية وكان قومه من الفلاحين ، فهو فلاح من سلالة زراع وحرث يعملون في الأرض ، والظاهر أن أباه « جون شكسبير » كان أخا نعماء - وصاحب شأن ، في استراتفورد ، وتزوج « بمارى أردن » وهى فتاة ورثت عن أبويها أرضاً ودوراً ولكنها لم تتلق شيئاً من العلم وقد شوهدت بصمتها في عدة وثائق . ولم يثبت أنها كانت توقع باسمها . وكان « وليم » ثالث ابن رزقاه . وأكبر الأحياء من أولادهما ، بعد وفاة أخويه الأولين ، وكان مولده في شهر أبريل عام ١٥٦٤ بقرية « استراتفورد » القائمة على ضفاف نهر إيفون . وكان أبوه يومئذ في أحسن حال . وأرغد عيش ، ولم تكذ تنقضى على مولد « وليم » ثلاثة أشهر أو نحوها ، حتى تفشى الطاعون في القرية ، وأخذ يحصد أهل الفاقة من بينها حصداً . فأقبل أبوه على إنقاذ الناس من هذا الشر المستطير كريماً سمحاً غير ضنين ولكنه بعد بضع سنين غرق في الديون ، وأحاطت به المتاعب ، فاضطر إلى رهن عقار زوجته ، وانصرف عن الاشتغال بالشئون البلدية والقروية في إقليمه .

طفولته وشبابه

وما لبث أن واجهته نفقات تعليم أولاده « وهم خمسة » ثلاثة صبيان .
وابنتان أصغر سنًا من وليم ، وكان الصبية يستحقون التعليم في المدرسة
الأولية بغير نفقة فادخلوا فيها ، وبدعوا يتلقون مبادئ في اللاتينية ، والنحو
والصرف ، والأدب وتواتى لوليم فيما بعد شىء من علم الفرنسية ، فانتفع
به في روايته التاريخية « هنرى الخامس » . ولكنه لم يقض وقتاً طويلاً في
المدرسة ، لتدهور أحوال أبيه . وحين بلغ الثالثة عشرة ، بدأ يشتغل
« قصاباً » وهى الحرفة التى أصبح أبوه يعتمد عليها فى كسب قوته .

زواجه

وكانت تقوم على مقربة من استراتفورد دار ريفية معروشة السقوف ،
لا تزال تعرف باسم « كوخ آن هاتاواى » ، وكان يقيم فيها آل هاتاواى ،
إلى عام ١٨٣٨ وكان ريتشارد هاتاواى والد « آن » غنياً ، فلما قضى نحبه ،
ترك ضيعة ورثها عن آبائه الأولين ، فتولت رعايتها من بعده أرملة وأكبر
بنيه . وكان نصيب كل بنت من بناته لا يتجاوز ستة جنيهات وثلاثة
عشر شلناً وأربعة بنسات ، وهو ما يساوى نحو مائة وستين جنيهاً فى
أيامنا هذه .

وقد تزوج شكسبير بالفتاة « آن » حين تجاوز الثامنة عشرة وكانت أكبر منه بعدة سنين ، إذ كانت يومئذ تبلغ السادسة والعشرين .
ولا يحدثنا التاريخ كيف كان قرانهما ، على هذا الفارق في العمر ، ولا كيف كان عيشهما ، ولكن الثابت أن حياتهما لم تكن هنية رغيدة وقد رزقا بنتين وولداً .

حياته الأولى

ولئن رأيناه يقول عن آن . . . إن لآن هاتاواى ، وما أدراك من آن هاتاواى ، سبيلاً لفتنة القلوب ، وسحراً يجتذب الأفئدة . . . فقد عجزت عن كبح جماحه ، أو قص جناحه ، أو رده عن هواه ، فقد مضى يلهو بين أهل قريته ، ولم تقنعه صنوف اللهو المألوفة في محيطه ، فانطلق يختلط بقرناء السوء ، وشرار الصاحب ، ويُسْغِر على أماكن الصيد التى يملكها أهل اليسار والسلطان ، فيسرق الغزلان ، ويصطاد الأرانب ، حتى اضطر في النهاية إلى مغادرة القرية ، وهجرة الأهل والنزوح عن البيشة التى نشأ فيها عدة سنين .

وقد اعتدى على حدائق السير توماس لوسى فى شارلكوت أكثر من مرة فى تلك الأيام ، وكانت العقوبة يومئذ لا تقل عن الحبس ثلاثة أشهر ،

ودفع غرامة تقدر بثلاثة أمثال قيمة التلف الذى أحدثه فلم يلبث أن اشتد حقه على ذلك الوجيه فراح يثار منه بأبيات من الشعر علقها على أبواب حدائقه ، وهى فعلة أثارت عليه غضب ذلك الكبير . وطالب بمزيد من العقاب ، فلم يسع شكسبير سوى الفرار إلى لندن فى عام ١٥٨٥ للبحث عن عمل يسد منه أرماقه .

حياته فى لندن

وتختلف الروايات بسبيل محاولاته الأولى عند قدومه إلى لندن ، ولكن الثابت أنه لم يلبث بعدئذ أن اتجه إلى مهنة الممثل ، ويقال إنه بدأ يؤلف روايات تمثيلية ، أو يقتبس أخرى من الكتاب ، ويعيد صياغتها . ويحور فى ألفاظها وعباراتها ، ثم يعرضها على الفرق التمثيلية ، فتشترىها ، وتنتقل ملكيتها من يده . وكان من عادة مديرى هذه الفرق إحالة الروايات على المراجعين قبل عرضها على المسرح ، وهذا ما حدث لروايته الأولى « جهد حب ضائع » التى يغلب على الظن أنه وضعها فى عام ١٥٩١ ، فقد روجعت عام ١٥٩٧ ونُشرت فى العام التالى باسمه . وكانت هذه هى أول مرة يبدو فيها اسمه منشوراً على صدر كتاب من قلمه وتأليفه . والظاهر أن حوادنها لم تُقتبس كأكثر مسرحياته من قصة قديمة أو كتاب سابق . كما يبدو

في روايته « روميو وجولييت » (١٥٩١ - ١٥٩٣) وهي مأساته الأولى ، فقد توالى اقتباس قصتها عدة مرات منذ وُضعت في القرن الثاني قصة « أنتيا وابروكوماس » في اللغة الإغريقية ، وكانت معروفة في طول أوروبا وعرضها ، وتكرر ظهورها نثراً وشعراً عدة أجيال .

أما قصة تاجر البندقية (١٥٩٤) فقد رجع فيها إلى عدة مصادر . من بينها مجموعة قصص إيطالية كُتبت في القرن الرابع عشر ومن المرجح أن تكون أكثر مسرحياته قد استغرقت زهاء عشرين عاماً من عمره ، أو بين السابعة والعشرين والسابعة والأربعين أى بمعدل روايتين في العام .

أهل السلطان الذين رعوه

وكان له بين الأشراف راع يدعى « الأزل أوف سلوتامينون » وقد وجه إليه كثيراً من أغانيه ، وإن لم يذكر اسمه صريحاً ، كما أبدت الملكة « إليزابث » نحوه شيئاً من العطف في عام ١٥٩٤ وطُلب عقب تتويج الملك جيمس الأول للتمثيل في حضرته وكان تمثيل رواية « العاصفة » ولعلها آخر ثمار عبقريته بمناسبة قران الأميرة إليزابث بالأمير فردريك عام ١٦١٣ .

عودته إلى استراتفورد

وما كاد يتنصف به العمر حتى بدأ يهدأ ويتدبر مطالب الحياة ، ويسعى جاهداً في معاودة العيش في العشيرة ، والإخلاد إلى الحياة المنظمة ، فعاد إلى استراتفورد ، بعد هجرتها أحد عشر عاماً ، وإن ظل يزورها مرة على الأقل في كل عام ، فاشترى في عام ١٥٩٧ أكبر بيت في القرية لقاء ستين جنيهاً . وكان للبيت مخزان للغلال وحديقتان ، فعكف على إصلاحه ، وعنى بالحديقتين ، ولعل هذا القدر اليسير من المال الذي اشتراه به يساوي اليوم ١٥٤٠ جنيهاً . وقد سُمي يومئذ « المكان الجديد » وجعل الناس يدعونه قرية « الغنى الوجيه » . وزاد في نفوذه أنه استعان بأبيه على الظفر بشعار النبالة ، وأصبح معدل إيراده السنوي من التمثيل والتأليف المسرحي كبيراً . وعندما تم تشييد مسرح « جلوب » في عام ١٥٩٩ بدأ يتلقى حصة من أرباحه ، فارتفع إيراده إلى مائة وثلاثين جنيهاً أو ما يساوي اليوم نحو ثلاثة آلاف ، ثم نما على الأعوام أيضاً ، فأصبح رب ضيعة كبيرة وكان مولعاً بالقضايا كثير الدخول في المنازعات أمام المحاكم . وكثيراً ما كان يخرج منها كاسباً موفتاً .

فى أخريات أيامه

وقد أخرج أحسن رواياته فى تلك الفترة السعيدة من حياته وهى جميعاً قصص مرحلة خفيفة الظل ، ثم تلها بعد عام ١٦٠٠ ثلاث أخرى يغلب الجلد عليها وهى يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل . وفى عام ١٦٠٦ أتم « مكبث » ثم « الملك لير » التى مثلت فى بلاط « هوايتول » خلال شهر ديسمبر عام ١٦٠٦ .

والظاهر أنه انصرف عن التأليف للمسرح بعد عام ١٦١١ . ولبث مقيماً فى استراتفورد أكثر أيامه .

وبدأت صحته تعتل فى بداية عام ١٦١٦ . ولكن لا يعرف أحداً أسباب وفاته وكان ابنه الأوحى « هانمت » قد قضى نحبه قبل ذلك بعدة سنين ، وقد ترك من بعده زوجه وابنتيه « سوسنة هول » و« جوديث كوينى » . وكانت منيته فى الثانية والخمسين . ودفن فى كنيسة استراتفورد وكتبت على قبره أبيات من شعره البديع .

مقدمة المسرحية

مصادر القصة

من أين استقى الشاعر موضوعه

تحتوى هذه المسرحية المرححة حادثين ، أولهما يتصل بثلاثة أبطال ، وهم « هير و ، وكلوديو ، ودون جون » ، ويكاد هذا العنصر يبدو جاداً فى جملته ، لا فكاهة فيه ، والآخر مرح كله ، ويتصل بشخصيتين بديعتين ، وهما « بياتريس » و « بنيديك » . وإلى جانب هذين القسمين ، عنصر إضافى ثالث تسرى الفكاهة فى جميع نواحيه . وهو يدور حول شرطى عجيب يدعى « دوجيرى » وصاحب له يسمى « فارجس » والحراس الذين يعملون بإمرتهما ، ويكشفون المكيدة التى كادها الحقد لآتهام « هير و » العذراء بالخيانة والإثم . ولو حذفنا هذا العنصر الفكاهى من القصة ، لفقدت خير ما فيها من متعة . وجُردت من أبدع ما احتوته من فكاهة .

وقد استقى شكسبير موضوع المسرحية من مصدرين هما :

- ١ - قصة سان تمبريو دى كاردونا التى حوتها مجموعة قصص كتبت فى اثنين وعشرين جزءاً ، وطبعت باللغة الإيطالية عام ١٥٥٤ لمؤلفها « ماتيو بانديللو » أسقف آجن .

وكانت قد تُرجمت إلى الفرنسية في عام ١٥٨٢ واشتهرت في عهد شكسبير وأكبر الظن أنه عرفها ، أو ظفر بنسخة منها في الإنجليزية ، فقد نُقلت إليها في أيامه أو قبيل ظهوره .

وليس من شك في أن موضوع هذه القصة التي نقلها للعالم العربي مأخوذ من قصة « سان تمبريو » لتشابه الحوادث فيها ، وإن كانت القصة القديمة قد جرت أحداثها في « ميلانو » . وهذه في مسينا ، كما تماثل اسم البطلة في القصتين وهو ليوناتو وورد في الرواية الإيطالية كذلك اسم « دون بدرو » ملك أرغونة . ويبدو أن شكسبير حذف شخصيته في القصة القديمة ، وهي زوجة ليوناتو ، وأم هيريو أو أنه أوردتها في بداية الفصلين الأول والثاني ولكن إدارة المسرح أغفلتها ورأت ألا ضرورة لها .

والواقع أن عشر بطلات في روايات شكسبير جئن فيها بغير أمهات ، ونعني منهن « بياتريس » و « هيريو » في قصتنا هذه ، وكورديليا وديدمونة وأينوجن وإيزابيلا وميراندا وأوفيليا وبورشيا وروزالند .

وفيما يلي الحوادث التي استقاها شكسبير من بانديللو :

- ١ — طريقة الوساطة في خطبة كلوديو لهيرو .
- ٢ — فسخ الخطبة في اللحظة الأخيرة والعروسان أمام الهيكل .
- ٣ — مخادعة بوراشيو لكلوديو وتضليله .

٤ - إغماء هير و وادعاء وفاتها .

٥ - زواجها من جديد .

٢ - قصة « أريودانت وجنيفره » التي نقلها إلى الإنجليزية السير هارنيجتون في عام ١٥٩١ من الجزء الخامس من قصص « أريوسطو » وهو الجزء الخاص برواية « أورلاندوفير ويوزو » ، وكانت قد ظهرت لها ترجمة قديمة في عام ١٥٦٥ . ولكن لا نحسب شكسبير اطلع عليها أو استمد منها موضوعه .

ولم يكن اقتباسه منها كثيراً . فقد أخذ حكاية اختباء كلوديو في الحديقة ليطلع بعينه على خيانة حبيبته ، كما استمد تمثيل مرجريت لدور « هير و » إفكاً وبهتاناً .

أما المكيدة وشخصيتا بياتريس وبنيديك ، ومحاوراتهما البديعة ومواقفهما الممتعة ، وأدوار « دوجبرى » ، وصاحبه والحراس والمشاهد الفكاهة التي حوتها القصة فهي جميعاً من مبتكر الشاعر العبقرى ووحى خاطره الحبيب . . .

أبطال القصة

يحسن قبل أن يبدأ المرء قراءة القصة أن يعرف شيئاً عن شخصيات أبطالها ، والصلة بينهم ، ومعالم أخلاقهم ومنازعتهم حتى تنفتح له فصولها . ويسهل عليه متابعة مشاهدتها ، وما نحسب أحداً يجد روحاً إلى حديث إنسان ، أو سكوناً إلى مجلسه ، إذا لم يؤثر علم شيء عن ماضيه ، أو حاضره ، أو مكانه من الناس .

ونحن هنا محاولون أن نرسم معالم الأشخاص ، في غير استطراد ، تاركين القصة ذاتها تتكشف لهم عند التنقل بين مشاهدتها المتتابعة .

مدار الأحداث

تدور القصة حول واقعتين غراميتين ، يصح أن تُعد كل واحدة منهما منفصلة من الأخرى . وإن اختلطتا ، وترابطتا ، لأنهما مختلفتان اختلافاً بعيد المدى ، حتى لتستمد كل واقعة من تناقضها والأخرى قوة وتزداد تأكيداً ، وليس من شك في أن أهمهما شأنًا ، لجد موضوعها وخطر أمرها ، هي حب كلوديويوهيرو ، فهي تبدأ « غراماً » ثم تكاد تنقلب إلى مأساة ، قبيل أدوارها الختامية ؛ وأما الأخرى ، وهي غزل يبدأ

سخرية ، ثم يتطور حتى ليرأى أشبه بكراهية ويتخلله مجون ، ومطارحة يعيث ، واستهزاء ، ثم ينتهى هو أيضاً بحب وإعلان ، بعد مداراة وكمّان ، ثم إلى زفاف وقران .

ولا ريب فى أن كلوديو ، هو البطل الأول ، فلا معدى من إحلاله فى الطليعة ، عند رسم شخصيات الأبطال .

كلوديو

هوفى من فلورنسا أصاب حظوة بالغة عند دون بدرو أمير أراجون ، فهما لا يكادان يفترقان . حتى لقد أحفظت هذه الحظوة أخاً للأمير يدعى « دون جون » وجعلته يعتقد أن هذا الفتى قد قام على أنقاضه . وأكبر الظن أن هذا التوفيق الذى أصابه كلوديو أثار فى نفسه شيئاً من الاعتداد بنفسه ، حتى بدا شديد المخافة على كرامته ، يخشى أن يتأذى كبريائه من أقل باذر ، فلم يكذب يوحى دون جون بأن هذا قد غدر به وراح يطلب الفتاة لنفسه ، حتى اصطنع الاستخفاف بالأمر ، ليخفى الجرح الذى أدمى كبريائه ، قبل أن يمس حبه ، وحين عاد هذا الذى يتنفس عليه مكانه عند أخيه يحدثه عن خيانة « هير و » ثار لكرامته ، ولم يترى حتى يتأكد الحق . ولكننا لم نلبث أن رأيناه حين حصحص الحق ، يعترف بخطئه . ويرتضى أى عقاب يفرض عليه تكفيراً واستغفاراً من فعلته .

ويبدو من سياق القصة في فصلها الأول أن حبه للفتاة لم يأت فجأة ولكنه نما في نفسه رويداً . وإن لم ينبعث في حماسة إلى إظهاره لها . كما لم يبد كسير القواد حين مضى يستمع للوشاية بها ويصدق قول الواشي ؛ وكان المرتقب أن يثور عليه ويطالبه بإثبات قوله . ولكنه غضب على الفتاة وأقسم أن ينتقم منها . بل لم يُبد شيئاً من الأسى حين تم له ما أراد من الثأر . فقد اكتفى به ، وطلب إلى بنيديك أن يطرد بالحجون الهم عن نفسه . ولكن ذلك كله على غرابته ، لا ينفي أنه أحب الفتاة حباً بالغاً لم يحل دون إظهاره غير اعتداده الشديد بنفسه .

هيو

رسم شكسبير شخصيتها على النقيض من ابنة عمها ، فهي تبدو حية منطوية على نفسها . على حين تالوح الأخرى برزة مستقلة فصيحة حاجنة كأن كلا منهما تُبرز بهذا التناقض شخصية صاحبتها . ولكننا نحس دائماً وجودها ، وإن أقلت من الكلام ، ونستشعر وقارها وحشمتها ، ولا يقع كلامها على قلته قليل الخطر ، بل يكسب الإعجاب به على إيجازه ، وهي لا تخلو من ذكاء ومجاعة ، كما بدأ في تنفيذها حيلة اتفق عليها لحمل ابنة عمها على الرضى عن صاحبها الذى سلطت عليه النكات اللاذعة وبادلته السخرية المريرة ، وقد شهدناها حين شهر خطيبتها بها

فى الكنيسة على رؤوس الأشهاد ، تلوذ بالصمت ، على فرط اضطرابهما
للتهمة النكراء التى رُميت بها ، فلم تفتح فيها لتدافع عن شرفها إلا قليلا ،
حيال غضبة أبيها وثورة نفسه ، ولم تظهر عقب إغمائها إلا فى المشهد
الآخر حين ثبتت براءتها ، وفى هذا الموطن رأيناها تصفح عن « كلوديو »
من أعماق قلبها ، ولا توجه إليه كلمة ملام واحدة .

بنيديلث

فى من المحسوين على الأمير وأصحاب حظوته . وقد صورته شكسبير
تقيضاً لكلوديو ، كما بدت هير و تقيضة لابنة عمها ، وإنه ليشق على المرء
تحديد شخصيته مما كان الآخرون فى القصة يقولونه عنه ؛ فإن نحن
سمعنا للذعات « بياتريس » وغمزاتها ، أسأنا بعض الظن وإن نحن تدبرنا
مديح الأمير له ، عجبنا لها كيف قست عليه إلى هذا الحد .

وياوح لنا أن تظاهره بكمراهية النساء مرجعه إلى شىء فى خليفته ألف
السكون إليه ، وهو « العادة » حتى لقد قال عن نفسه إنه الجبار المشهود
له بالقسوة عليهن ، وإن كان قد أقام فى الواقع فارقاً ظاهراً بين رأيه
الصادق الخالص وبين الفكرة التى أعلنها وادعى احترافها ، وأشهد الناس
عليها ، وقد رأيناه يوحى إلينا بكلامه أنه لا يرضى من المرأة التى لا يتردد
فى الزواج بها بالشىء اليسير من المحاسن ووجوه الفضل ، ولكنه يعترف

بأن ما يراه فيها ويؤمن به قد يتحول إلى حب إذا اهتدى إلى المرأة المثالية التي يشترطها .

وهو يتلقى نكات بياتريس وغمزاتها راضياً غير غاضب ويحبب عنها ببراعة ظاهرة ، ويعتز بفكاهته وحذقه للنكتة ، ولا بأس عنده من أن تأتي على حسابه وتوجه إليه ، إن جاءت طريفة مليحة ترضيه ، وإن كان قد غضب في ذات نفسه لنكتة واحدة رمته بياتريس بها . وهي وصفه بأنه « مهذار » الأمير فقد اعترف أنها أوجعته ، وأحدثت أثراً بالغاً في خاطره .

وقد عرّفنا به في مطلع القصة الرسول الذي قدم لينبئ القوم بقرب مقدم الأمير ، فقد قال عنه إنه قد عاد إلى المعارك مرحاً كما كان أبداً . وهو رأى وجدنا جميع شخوص القصة يقرون الرسول عليه .

وقد جعلته طبيعته الرقيقة ، أو سلامة فطرته ، فريسة سهلة لمكايد الأمير وصاحبه ، وعرضة لسخرية أصدقائه وشمااتهم به ، ولا ريب في أن التضحية التي بذلها حين اعترف بأنه المغلوب المندحر كانت عميقة الأثر في نفسه الشفافة وعزته ، ولكن علمه بأن بياتريس تتأوى من الحب له ، كان يتغلب على تظاهره بكرهية النساء . فلم يلبث أن صدق الحيلة التي احتالها الأمير لإيقاعه في الحباله ، ولم يكن ثمة شك في حبه حين استطاع التغلب على بغضائه للزواج ، ولم تكن هي لتحمله على مطالبة صديقه كلوديو بالخروج إلى المبارزة ركوناً منها إلى الحب الذي يشتعل لها في صدره حتى استجاب لها ، ونزل على حكمها .

أما ذكاؤه فقد تجلى في عدة مواقف في القصة فهو الأوحـد الذي
 لبث في مشهد القران الذي انتهى بمأساة ، وإغماء العروس ، ساكن
 الأوصال ، مسترياً بالفرية التي افترت عليها . بل هو أول من
 ذهب به الظنون إلى الشق الذي دبر تلك المكيدة .

ولو أننا فصلنا واقعة حب كلوديو وهيرو من صلب الرواية لما أبقينا
 منها إلا على مواقف أليمة ، ومشاهد لا يستروح الخاطر إليها ، ولكن
 الشاعر العبقرى جاء بهذه العلاقة بين بنيديك وصاحبه لتكون تلطيفاً بديعاً ،
 ومزاجاً سائغاً ، وتوازناً بهيجاً ، مع العناصر الجديدة التي تتألف القصة
 منها . حتى لقد تشابها في الاعتداد بالذات ، والحرص على الكرامة ،
 والشخصيتين الآخرين وهما كلوديو وحبيته . وإن كان اعتدادهما يبدو
 مشبعاً بمجاعة بديعة وسخرية فكهة .

بياتريس

إن أول ما يبدو هنا عند تحليل شخصية بياتريس هو تماثلها العجيب
 لشخصية « بنيديك » ، فهي أبدأ مرحلة . خفيفة الظل ، راضية بالحياة ،
 وكل منهما مستطرد في مجاعة ممتعة على حساب الآخر . متقبل غمزاته ،
 غير ضائق بها ، معتر ببرايعته في الرد عليها ؛ فلم نر بنيديك متبرماً إلا بنكتة
 واحدة منها ، وهي قولها عنه كما أسلفنا « مهذار الأمير » . ولم نشهدها

غضبي من نكاته ، إلا من غمزته ، حين قال إنها « محفوظات » استذكرتها من كتاب « مائة النادرة » وهما على حد سواء في إظهار النفور من الزواج ، وفي التغلب عليه حين سماع أقوال الآخرين عما يكابده صاحبه من آلام الحب وتباريحه .

وهي تحب ابنة عمها « هير و » أصدق الحب ، وتؤمن ببراعتها من التهمة التي رُميت بها ، حين صدقها الآخرون حتى أبوها ، وتحمل بنيديك على قتل كلوديو عقاباً له على ريبته بابنة عمها .

أما نفورها من الحياة الزوجية ، كما نفر منها بنيديك ، فلم يكن إلا تظاهراً ومراعاة . وقد بدت لنا في لهفة خفيفة على القران حين ظفرت به ابنة عمها من قبلها . فقد مضت تزفر قائلة « ألا من زوج ألا من زوج ! » ، وهي صريحة هيئات أن تنبعث من قلب لازواج كاره . . .

دون بدرو

هو الأمير الذي يدين له « كلوديو » و « بنيديك » بالفضل في وثبتهما إلى الشهرة والمجد ، فقد أراد أن يشبع ولوعه بالمرح واللهو فجمع من حوله صاحبيه هذين ، ومضى يعنى بهما ، ويطلب لهما الخير جاهداً ، حتى لقد تولى بنفسه مفاتيحة « هير و » في أمر الزواج بكلوديو حتى ظفر له بها ، وهو الذي أصلح بين بنيديك وبياتريس . بتلك الحيلة

اللطيفة التي دبرها ، ولكنه بجانب هذا العنصر الطيب الكريم فيه لا يزال يشارك صاحبه « كلوديو » في سرعة تقلبه ، وتصديقه لما يقال له . واستسلامه لتضليل المظلّمين . وقد لقي جزاءه بذلك الاعتراف الصريح الذي أدلى به « بوراشيو » حين قبض الحراس عليه .

ليوناتو

هو حاكم مسينا ، المدينة التي وقعت فيها أحداث القصة ، كما يقول المؤلف في بيان « أشخاص الرواية » ؛ ولكن منصبه هذا . أو اشتراكه في الحياة العامة ، لا أثر له فيها . لأن مواقفه خلال فصولها متصلة بحياته الخاصة وكل خطره وشأنه أنه والد « هيرو » التي أحبها أشد الحب ، حتى لقد رأيناه حين شهر بها كلوديو على الملأ ، يفقد رباطة جأشه ، ويؤثر الموت على الحياة . واحتمال هذا العار الذي جلبته على بيته وعشيرته . وقد رأيناه يشرح مدى حبه لها ، ويكشف عن مبلغ اعتزازه إياها ، ولئن عينا عليه ضعف الإيمان ببراءتها ، وسرعة تصديقها لما تُسج من الإفك حولها ، فلا يزال له العذر ، حين رأى ثلاثة شهود كبار يثق بهم يقرّون أنها الأثيمة الجانية .

وليس من شك في أن الحفاوة التي لقي بها الأمير وصاحبه تدل على طيب فطرته وكرمه ، وبجوحة نفسه ، حتى لا أثر فيها لكبر أو غطرسة

أوازدهاء ، فقد راح فى معاملته للشرطة والحراس يبدى جانب الرفق ،
 ويصطبر للثرثرة ، ويستأنى لسماع كلام لا يفهم منه شيئاً، كما كان
 يتقبل نكات «بنيديلك» بالروح ذاتها التى كان هذا يرسلها. وهو يلوح لنا
 فى مختلف مشاهد القصة ومواقفها الزجل الهين الذى رقت الرفاهية من
 خليقته ، على النقيض من كلوديو الذى أفسدته صعدهته إلى الشهرة والعبث
 البعيد .

ولم يتردد هذا الشيخ على ضعف بنيته فى مجابهة الوشاة فى حق ابنته
 وتحديهم ومغاضبتهم ، وإذا لم يكن هذا التحدى قد ظهر فى حرارة اللحظة
 بل بدا فيما بعد . عقب التروى والتفكير ، فإن ذلك كله شاهد على
 شجاعته .

أنطونيو

هو أخوه ، وليس له دور كبير فى القصة ، فلا يبرز على أحسنه ،
 إلا فى مطلع الفصل الخامس حين يتحدى الأمير وصاحبه ؛ ويظهر على
 تقدمه فى السن ، شجاعة رائعة ، وحماسة متقدة ، فى الدفاع عن شرف
 ابنة أخيه .

دون جون

هو شخصية الشرير في القصة ، والمسئول عن كل المتاعب التي حلت برب البيت وأهله ؛ فحدة المزاج ، والكآبة الملازمة ، والغيرة الكظيمة ، كلها بواعث قوية على ما نرى من نذالته وسوء مسلكه ؛ فلا نجد في القصة شيئاً يبرئه من الإثم ، أو يكفر عن سيئاته ، ولعله الحقد الذي كان يأكل قلبه على كلوديو ، الذي كان يصفه بأنه « محدث النعمة » وأنه ارتفع على أنقاضه ، فلا عجب إذا رأيناه في وسط هذه الطبائع المرححة الفرحة بترفها ونعمائها ، مناقضاً لها على خط مستقيم ، فلم يكن ليبتسم يوماً للحياة ، ولا الحياة ابتسمت يوماً له ، ولكنه لبث حامضاً ، كنيباً ، ضجراً ، متبرماً ، يجمع من حوله أتباعاً على غراره ، وخولا من أشباهه ؛ وهو أبداً المقل من الكلام ، المتحفظ ، المبدى ضجيره وبرمه وبروده لكل إنسان ، حتى ليقول عن نفسه إنه ليؤثر أن يكون مستهدفاً للسخرية والامتهان على أن يغتصب من أحد حباً ، أو ينتزع من قلب ودّاً . وقد استمكن الحقد منه على كلوديو فلم يتردد في تدبير أية حيلة للإساءة إليه حتى لقد أجزل العطاء لمن ارتضى أن يتولى ذلك عنه ، كأنما قد وُكِّل بأن يدمر سعادة الناس ويخلق لهم المتاعب ، ويرنق عيش أصحابه . . .

بوراشيو وكونراد

هما تابعا « دون جون » اللذان أعاناه على تدبير المكيدة ، أما الأول فهو الذى اقترحها عليه وتولى التنفيذ ، واستغل الوصيفة مرجريت الساذجة فى تضليل كلوديو . ولكنه حين أدرك أن فعلته قد انكشفت لم يتردد فى الاعتراف . وترك فى نفوسنا أثراً حسناً من ناحيته .

وليس لكونراد دور يذكر فى الرواية إلا مجرد الشريك السلبي لبوراشيو ، والزميل الذى سمع نبأ المكيدة منه ، حين كان الحراس يسترقون السمع عليهما .

مرجريت وأرسولا

مرجريت صاحبة بوراشيو والمشاركة معه على جهل أو حسن نية ، فقد حملها على تمثيل دور « هيرو » أو الظهور ليلاً فى الشرفة ، لينخدع كلوديو ، ويعتقد أن هيرو خائنة .

أما أرسولا فهي الوصيفة التى حذقت دورها فى الحيلة التى دبّرت لبياتريس ، حتى تقتنع بأن بنيديك يحبها . وهى الحيلة التى أراد بها الأمير دون بلرو أن تثنى بياتريس عن غيها ، ويعدل بنيديك عن مجونه ، ليقترب بينهما . ويدفع بهما إلى مصارحة الآخر بحبه .

دوجبرى وفارجس

شرطيان مضحكان يشيعان فى أفق القصة مرحاً وبهجة ، كلما خيف أن تدنو من الجذ ، أو تفقد خفة الروح ، وإليهما يرجع الفضل فى كشف المكيدة التى دبّرت للقضاء على العذراء « هيرى » وانصراف كلوديو عن القران بها ، شفاء لوجدة « دون جون » عليه ، أن غلبه فى اللحظة عند أخيه .

ولم يكن كشفهما للمكيدة عن ذكاء ، فهما غيبان ، وإن كان غباؤهما لطيفاً يستريح الحاطر إليه ، وإنما وقعا على الحقيقة بمحض المصادفة ، وهما يشرفان على العسس فى الطريق العام الذى يقع فيه بيت ليوناتو الحاكم .

والواقع أن التحقيق الذى تولياه مع الرجلين اللذين قبضا عليهما — وهما بوراشيو وكونراد صنيعة « الشرير » « دون جون » — لم يكشف شيئاً يعين على جلاء المكيدة ، ولولا اعتراف بوراشيو لكلوديو الأمير فى الفصل الخامس لما استطاع هذان الشرطيان إزاحة الستار وحدهما عن جليلة الأمر وخافيته .

ولعل أبداع ناحية فى هاتين الشخصيتين المضحكتين ولوعهما بإظهار الجذ ، وتحريف الكلام ، والترائى بالعلم ، وهما منه خلاء ، فإن لأولهما

« دوجبرى » طريقة ممتعة فى التظاهر بالعلم ، وهو الجاهل ، وحسبان الخطأ هو الصحيح ، والإلقاء بالحكمة السائرة ، فى عبارات من لغته البعيدة من كل معروف ومألوف .

الكاهن

هو الأخ فرانسس — ولعله من لقبه راهب من جماعة الإخوة — أو الفرير لان كلمة Friar هى وكلمة « فرير » سواء . ولكننا آثرنا أن ندعوه « الكاهن » لأنه هو الذى جىء به ليعقد القران فجرت مأساة التشهير بالعروس وهى أمام الهيكل على عينيه .

ولهذا الكاهن دور كبير الشأن فى القصة ، فهو رجل أوقى علماً بخوارج النفوس ، ودراسة الشخصيات ، فلم يلبث عقب الفضيحة التى حدثت فى محضره وأدت إلى إغماء العروس ، أن ذهب خاطره إلى أنها بريئة مما اتُهمت به ، فوضع خطة لتبديد الريبة ، وكشف الحقيقة لعلها رادة كلوديو إلى حبه . وقد نجحت تلك الخطة من بوادرها ، لولا موقف التوعد والتحدى الذى اتخذته ليوناتو وأخوه أنطونيو عند لقاءهما كلوديو والأمير عقب الحادثة التى وقعت فى الكنيسة ، ولكن هذا الموقف لم يأت بالنتيجة التى كان الكاهن يرجوها ، وهى شعور كلوديو بالندامة ، بل تجاوز ذلك إلى أمر زاد فى نجاح الخطة ، وهو استجابته لما أريد منه بغير تردد أو اعتراض . . .

معالم بارزة

في فصول القصة ومشاهدها

تنتظم روايات شكسبير مجموعتان ، الأولى ظهرت كلها قبل عام ١٥٩٥ وهى « جهاد حب ضائع » و « مهزلة أغلاط » و « حلم ليلة صيف » و « سيدان من فيرونا » و « روميو وجولييت » و « ريتشارد الثانى والثالث » و « هنرى السادس » فى أجزاءها الثلاثة ، وتشمل الأخرى — وهى الفترة الثانية بعد ذلك التاريخ — « الملك جون » و « تاجر البندقية » و « ترويض الشريعة » و « هنرى الرابع » بجزأها . و « زوجات وندسور المرحات » ؛ و « هنرى الخامس » و « كما تشاعون » و « الليلة الثانية عشرة » . وهذه القصة التى ننقلها إلى العربية. وهى إحدى ثلاث مسرحيات كتبها المؤلف فى أرغد أيامه ، وأبهج أدوار حياته ، وأملأ مراحلها فكاهة ومرحاً ، قبل أن ينتقل إلى النواحي الجادة من حياة الناس . ويرسم مآسى عيشهم ، ويصور أفاعيل غرائزهم ، بعد أن فرغ من رسم صنوف نزقهم ، وألوان حماقتهم ، وضروب لهوهم فى الحياة . فقد وضع فى هذا اللور مآسيه الخالدات ، يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل ، والمملك لير .

وقد امتازت المسرحيات الثلاث التى أسلفنا ذكرها بسمو الخيال ، ولطف الخاطر ، واكتمال الفن ، وطرافة النكتة ، وخفة الظل ، وبعد مطارح المحجون .

وسيرى القارئ مبلغ ما ازدحمت به هذه القصة من لمع الفكاهة ، وأبداع ألوان المجانة ، على قلة عناصر الموضوع فيها وندرة الحوادث خلالها ، حتى لتكاد تكون « حواراً » جميلاً ، ومساجلات فكهة ، وإن لم تخل جملة من مواقف رائعة ، لعل أبدعها وأروعها المشهد الذى بدأ فى الكنيسة ، حين انبرى العروس يشهر على رؤوس الأشهاد بعروسه ، ويرميها بالخيانة والعار ، وما أعقب هذا التشهير من إغمائها أمام الهيكل ، قبيل حفل الزفاف .

فقد يكون مشهد كهذا فى رواية مرحة أكثر مما تحتمله الأعصاب ، أو يتسق والموضوع الذى تدور القصة حوله ، ولكن ما يخفف من أثرها أن النظارة الذين يشاهدونها ، والقراء الذين يطالعونها ، يعرفون أن التهمة التى رُميت العروس بها وليدة مكيدة مدبرة ، ويعلمون أنها بريئة منها كل البراءة ، وإن جهل الأمر أبطالها الآخرون ، ووقعت التهمة من نفوسهم أسوأ موقع . وفى ذلك يقول « شليجل » : إن هذا المشهد هو قطعة رائعة بكل معانى الروعة ، وإن تأثيرها المسرحى لا يكاد يدانيه شئ ، وكان وقعها سيروح محزوناً فاجعاً ، لولا حرص شكسبير على التخفيف من حدته ، توطئة لظهور حادث سعيد ، والمضى بالقصة إلى نهاية موفقة . . .

وناهيك بما فى الحوار المستمر بين « بياتريس » وبنيديك والترشق بالنكت المليحة من ثروة مجانة وارتفاع بالغ فى آفاق السخرية واللعب بالألفاظ ، والافتنان فى مختلف ألوان البديع والبيان .

ولا نحسب ما حفلت به مسرحية « كما تشاؤون » من حوار بين « أورلندو » و « روزالند » يضارع مثيله في هذه القصة أو يقع قريباً منه ، إلا أن التراشق بالنكات بين بياتريس وبنيديك هنا ، يبدو لاذعاً موجعاً ، مليئاً بسخرية . بينما يغلب على مثله في المسرحيات الأخرى طابع المجانة البحت والعبث الخفيف .

فقد صور الشاعر بياتريس وبنيديك خلال قصتنا هذه في صور المتمردَيْن على الحب ، المتأبسين على فكرة الزواج ، الساخرين من الرجال والنساء بالسواء ، ومضى يرسم لنا في حذق بالغ كيف دبر أصحابهما لهما مكيدة لطيفة لحمل كل منهما على الإيمان بأن الآخر يكن الحب له ويخفي الميل إليه ، في أعماق صدره ، وأغوار جوانحه .

وقد رأينا أصحابهما ينسبون لأنفسهم فضل هذا التحبيب بينهما ، إلى لطف وسيلتهم وبراعة مكيدتهم ، ولكن حرص كل منهما على هذا العبث اللاذع بالآخر كان في ذاته دليلاً على نمو الميل إليه ، واستمكان الحب منه ؛ وحين اعترفا به ، لم يفارقا المحجون لحظة ، ولم ينصرفا من السخرية والتهكم . ولم يسكنا إلى الجدل غير مرة ، عندما وقفا وقفة الدفاع عن البريئة المتهمة .

وليس من شك في أن شكسبير لم يخطئ المرمى ، لأن المولعين بالنكتة ينتهون في أغلب الأحيان عند نقطة لا يرتضون اجتيازها ، ما لم يشاءوا أن يؤخذوا مأخذ المهاذير المغفلين .

وسيرى القارئ كيف مضى شكسبير فى تصوير بياتريس يحدّثنا عن مدى اجتماع قوى العقل والحياة وتفاعلهما فى مثل تفاعل النار والماء ، على حين جعل بنيدىك الذى يكره النساء ويجاهر بيغضهن ، يتحول ببراعة ظاهرة إلى فكرة الزواج ، على أثر سماعه بنأ حب بياتريس له . وجاءت شخصية «هيو» العروس التى اتهمت ظلماً متقنة التصوير ، متناقضة أبدع التناقض وشخصية الماجنة اللاذعة بياتريس . وبدأت علاقة الفتاتين طبيعية تملك الإعجاب . فقد صور المؤلف «هيو» قليلة الكلام عن نفسها ، مستعينة عنه ببلاغتها فى ذاتها ، وجعل الأخرى تسمو عليها بروحها الجياشة وعقلها الجبار ، وإن كانت «هيو» ، إلى جانب جمالها ورقها ، قد أوتيت بوصفها بطلة القصة جمالاً روحياً منقطع النظير .

وسيتبين القارئ أيضاً أن الشاعر جعل ، كلما مالت به القصة إلى ناحية الجدل المفرط ، يعود فيخفف من حدتها بمشاهد فكاهية ، ومحاورات طلية ، وبخاصة المشهد الذى يتجلى فيه الشرطى المتعالم وأصحابه الذين استعان شكسبير بهم ، إلى جانب عنصر الفكاهة فى أشخاصهم وتصرفاتهم ، على كشف المكيدة التى دبرها الحقود «دون جون» وخادمه «بوراشيو» . بأسلوب مفعم مجانة وطريقة لطيفة المدخل على النفوس .

أشخاص القصة

دون بدرو : أمير أراجون	دوجبرى : شرطى
دون جون : أخ له غير شرعى	فارجس : زميل له
كلوديو : فتى نابيه من نبلاء فرنسا	خادم كنيسة :
بنيديك : فتى نابيه من نبلاء بادوا	غلام :
ليوناتو : حاكم مسينا	
أنطونيو : أخوه	هيرو : ابنة ليوناتو
يالتازار : أحد موالى دون بدرو	بياتريس : ابنة أخيه
{ كونراد بوراشيو	{ مرجريت أرسولا
فرانسس : الراهب	رسل وحراس وأتباع

وقائع القصة : فى مسينا

الفصل الأول

المنظر الأول

أمام بيت ليوناتو

يدخل ليوناتو وهيرو وبياتريس مع رسول

- ليوناتو : لقد علمت من هذا الكتاب أن « دون بدرو »
 أمير أرجون قادم الليلة إلى مسينا
- الرسول : إنه الساعة جد قريب ، فقد كان
 على ثلاثة فراسخ منها حين تركته
- ليوناتو : كم من السادات فقدتم
 في هذا القتال ؟
- الرسول : قليلاً من مختلف الرتب ، ولم نفقد من العلية أحداً
- ليوناتو : إن النصر ليعد مزدوجاً
 حين يعود المنتصر إلى وطنه
 كامل العدد ، تام الصفوف
- وقد علمت من هذا الكتاب أن دون بدرو قد أضفى شرفاً
 عظيماً على فتي فلورنسى يدعى كلوديو
- الرسول : لقد استحقه من جانبه عن جدارة بالغة ،

وعن نصفه من جانب دون بدرو ، بالسواء ،
فقد تجاوز في مسلكه ، ما كان مرتقباً ممن في مثل سنه ،
وفعل وهو الحمل ما يفعله الأسد :
وفاق في الواقع ما كان منتظراً أكثر :
مما تنتظر مني أن أصفه لك .

ليوفاتو : إن له عمماً هنا في مسينا

سيسر بهذا سروراً عظيماً

الرسول : لقد حملت إليه الساعة كتباً

فغلبه فرح شديد ، إلى حد جاوز الاعتدال ،
فلم يستطع فرحه أن يبلى خالياً
من مظهر أسي ، ودلائل حزن
ليوفاتو : هل أجهش بالبكاء ؟

الرسول : في فيض زاهر

ليوفاتو : إنه لفيض طبيعي من غريزة الحب ،

فليس في الوجوه وجه أصدق مما تغسله الدموع ،
إن البكاء للفرح لأفضل كثيراً من الفرح للبكاء

بياتريس : نبشني من فضلك هل عاد السنيور مونتانتو؟^(١)

(١) مونتانتو - لفظة معناها طمعة إلى أعلى بالسيف في ألعاب الشيش ، ومن هنا جاءت تسمية بياتريس لبيديك بالسنيور مونتانتو سخريه وتهكاً ، كإشارة إلى أنه لاعب أو كثير الزهو والادعاء .

من الحرب أو لم يعد ؟

الرسول : لا أعرف أحداً بهذا الاسم يا سيدتى ،
وليس فى الجيش امرؤ ذو شأن يحمل هذا اللقب

ايوناتو : من هذا الذى تسألين عنه يا ابنة الأخ ؟

هيو : إن ابنة العم تقصد السنيور بنيدليك
من أهل بادوا

الرسول : آه . . لقد عاد ، مرحباً كديده

بياتريس : لقد أعلن هنا فى مسينا

تحديه « لكيبويد »^(١) فى الرماية بحداد النبال ،

التي تصمى من المسافات الطوال

ولكن مهذار عمى حين قرأه ، قبل

عن كيبويد تحديّه ، فى الرماية بالسهم القصير ، التي
تُرمى بها الأطيّار^(١)

(١) إله الحب عند الإغريق . وهو يصور فى شكل صبي أعمى يحمل قوساً وسهماً ،
يصيب بها حبات القلوب .

(٢) والمراد هنا أن بنيدليك أعلن أنه يتحدى إله الحب أن يظفر له بامرأة أوتيت من الجمال
حظاً تستطيع به أن تملك هواه . وهذا هو سر سخريّة بياتريس منه وتهكمها به . والسهم الحداد
معروفة بطولها وخفة سرعتها وكثرة ريشها ، وهى السهم المريشة ، أما السهم القصيرة فلا
تخدش من الطير غير جلودها ، وكان الإغريق يسمحون للمضحكين والمهرجين والحمقى
باستخدامها .

نبئني كم تراه قتل وأكل في هذا القتال ،
 بل نبئني كم تراه قتل ،
 لأنني في الواقع وعدته أن آكل جميع قتلاه^(١)

ليوناتو : يميناً يابنة الأخ

إنك لمفرطة في التهم بالسنينور بنيدليك ،
 ولكني لا أشك في أنه سيصنئ معك حسابه

الرسول : لقد أبلى في هذه الحروب يا سيدتي
 بلاء حسناً

بياتريس : لقد كان عندكم طعام زنج فساعدكم
 على أكله لأنه النهم الجريء على الخوان
 وقد أوتى معدة جيئة .

الرسول : وهو جندي شجاع أيضاً يا سيدتي^(٢)

بياتريس : جندي شجاع لسيدة

ولكن من هو أمام سيد ؟

الرسول : إنه لسيد أمام سيد ، ورجل قبالة رجل ،
 حشوه جملة المكارم والمناقب .

(١) أي إنما تعرف أنه لن يستطيع قتل أحد فتعهدت له أن تأكل من يقتله واثقة أنه لن يقتل.

(٢) هنا جناس في اختلاف التهجى ، فإن too معناها أيضاً أو كذلك . وقد حذفت ياء

المنادى في الأصل وجاء رد بياتريس «جندي» «السيدة» فاستخدم شكسبير to جناساً مع أيضاً too

بياتريس : حقاً إنه لكذلك ، فما هو إلا رجل محشوّ
 أما عن الحشو ذاته ، فكلنا بشر
 ليوناتو : لا تخطئ يا سيدى فى فهم ابنة أخى
 إن بينها وبين السنيور بينديك حرباً فكهة ،
 فلا يلتقيان مرة
 إلا ونشبت بينهما مناوشة مزاح .
 بياتريس : ولكنه للأسف لا يكسب منها شيئاً ،
 وفى آخر معركة بيننا
 راحت أربعة من أحاسيسه الخمسة^(١)
 تمشى عرجاء ظالعة
 فلم يبق له منها اليوم إلا واحدة
 فإن كانت له مسكة من ذكاء
 تكفى لتدبير أمره ورعاية شأنه ،
 فليحرص عليها
 حتى تكون فارقاً بينه وبين حصانه ،
 لأنها كل ما يملكه
 ليبلو مخلوقاً عاقلاً

(١) المراد بالأحاسيس الخمسة الفطنة والخيالة والتصور والتقدير والذاكرة ، وهى مطابقة
 للحواس الخمس ، البصر والسمع والشم والذوق واللمس .

مَنْ اليوم رفيقه
لأن له في كل شهر صديقاً وفيّاً

الرسول : أجايز هذا ؟

بياتريس : إنه جد جائر ممكن

إنه يبدل عهوده كما يغير قبعته ،
فهو يغيرها كلما استحدث قلباً أو تغير زى
الرسول : يلوح يا سيدتى أن السيد ليس في حظوتك ،
ولا هو في كتبك ودفاترك^(١)

بياتريس : بلى ، ولو أنه كان كذلك لأحرقت مكتبتي ،
ولكننى أسألك من رفيقه ؟
أليس ثمة فتى شكس

يذهب معه في سفرة إلى الشيطان ؟
الرسول : إنه أكثر ما يبدو في رقعة النبيل كلوديو .

بياتريس : يا لله ! إنه سيلازمه ملازمة الداء ،

بل هو أسرع إليه من الوباء
فلا يلبث المصاب أن يمجن .
كان الله في عون كلوديو النبيل

(١) أى لست عنه راضية . وقد جاء الشاعر بهذه العبارة ليأتى الرد مناسباً لها في قولها
« لأحرقت مكتبتي » ، كما سيلي .

إذا كان قد أصيب ببينديك^(١)
لسوف تكبده تلك العلة ألفاً من الجنيهات
قبل أن يقدر له الشفاء .

الرسول : سأحرص على مودتك يا سيدتى^(٢)

بياتريس : افعل أيها الصديق الكريم

ليوناتو : لن تُصابي يابنة الأخ بجنون يوماً

بياتريس : أبداً ، أو يأتى شهر يناير حراً وصهداً^(٣)

الرسول : ها هوذا دون بلرو مقبل .

(يدخل دون بلرو ودون جون وكلوديو وبينديك وبلتازار)

دون بلرو : يا سنيور ليوناتو الكريم

لقد جئت لتلاقي عناء

إن ديدن العالم تجنب المتاعب

وديدنك أنت مواجعتها .

ليوناتو : ما طرق العناء يوماً بيتى ، فى صورة سماحتك ،

وما دام العناء قد ارتحل

(١) بينديك : هو اسم الرجل الذى تتحدث عنه ، ولكن بياتريس تلمح أيضاً إلى

مرض يدعى بهذا الاسم ، ويصيب المريض بالجنون ، كما يفهم من قول عمها الذى سبى هذا الكلام .

(٢) أى حتى لا أستهدف لهجوك .

(٣) وهو مستحيل .

- فقد آن للراحة أن تحل ،
ولكن حين تفارقنى ،
يقيم الحزن عندى ويلازمنى ، ويولى عنى السرور .
- دون بدرو : إنك تتقبل المغارم مفزطاً فى الرضى بها ،
أظن هذه ابتلك
- ليوناتو : هكذا قالت لى أمها مراراً .
- بنيدىك : هل كنت فى شك يا سيدى حتى تسألها ؟
- ليوناتو : لا ، يا سنيور بنيدىك ،
لأنك كنت يومئذ طفلاً .
- دون بدرو : هذه لكمة « قوية » يا سنيور بنيدىك ،
ومنها نستطيع أن نحزر من تكون ،
وأى رجل أنت ،
حقاً إن السيدة قد دالت على بنوتها لأبيها ،
اسعدى يا سيدتى لأنك شبيهة بأب كريم
- بنيدىك : لو كان السنيور ليوناتو أباًها
لما رضيت برأسه على كتفها^(١)
ولو أعطيت مسينا بأسرها
ما دامت كما هى شبيهة به

(١) أى لما قبلت رأسه الأشيب .

بياتريس

: عجبني لك يا سنيور بنيديك
إنك لا تنقطع عن الكلام ،
ولا أحد يلتفت إليك .

بنيديك

: وى . . . ألا تزالين أيتها « السخرية » العزيزة حية ؟

بياتريس

: وهل يمكن أن تموت السخرية ،
ولديها مثل السنيور بنيديك طعاماً شهياً . . ؟
إن المجاملة ذاتها

لتنقلب حتماً إلى سخرية ،
لو مثلت . حضرته .

بنيديك

: المجاملة إذن متقلبة غادرة ،
ولكن الذى لا ريب فيه
أنى محبوب من النساء جميعاً ما عداك ،
ووددت لو أجد فى نفسى
أنى لست قاسى القلب ،
لأننى فى الحق ،
لا أحب منهن واحدة .

بياتريس

: ذلك من حسن حظ النساء ،
وإلا لأُصبِن بخطيب خبيث ،
وإنى لأحمد الله ،

ودى البارد ، على أن مزاجى شبيه بمزاجك
 فى هذه الناحية حتى لأوثر أن أسمع كلبي ينبع غراباً ،
 على أن أسمع رجلاً يقسم أنه يحبني .

بنيديك : أرجو الله أن يبقيك دائماً على هذا الرأى ،
 حتى ينجو الرجال من خدش الوجوه المقدر لهم ،
 إذا هم أصيبوا بك

ياتريس : لن يستطيع الخدش أن يجعل وجوههم
 أسوأ صوراً ، إن كانت مثل وجهك .
 بنيديك : حقاً إنك لمعلمة بيغاوات نادرة .

ياتريس : لطائر لسانى خير من وحش مقولك .

بنيديك : وددت لو أن لحصانى سرعة لسانك .

وجلده على الاستمرار ،
 ولكن بالله عليك امكث حيث أنت ،
 فقد انتهيت أنا واكتفيت

ياتريس : إنك لتنتهى أبداً بمكر الحصان المكسود ،
 حين يخرج رقبتك من الطوق^(١)

(١) من عادة الحصان المنهوك المتعب الذى لا قيمة له أن يحزن ويحاول بمكره أن يقف
 من السير فيخرج رأسه من « رقبتك » والمعنى أنه فى جلدته معها ينتهى متعللاً بأنه قد أدى ما عليه
 ووفى ما عنده .

إننى أعرفك من زمن بعيد
 دون بدرو : إليك يا ليوناتو جملة الخبر .
 إن صديقى العزيز ليوناتو ،
 دعا كما يا سنيور كلوديو ويا سنيور بنيدليك إلى ضيافته ،
 وإنى لقائل إننا سنقيم هنا شهراً على الأقل^(١)
 وهو يرجو من صميم قلبه أن تعرض مناسبة
 فتجعل مقامنا عنده أطول أمداً ،
 وفى وسعى أن أقسم أنه ليس بمنافق ،
 ولكنه يرجو هذا من كل قلبه صادقاً .

ليوناتو : إذا أقسمت يا مولاي
 فلن تكون فى قسمك حانثاً .
 (إل دون جون) أهلاً بك يا مولاي وسهلاً ،
 إنى لمؤد لك كل الواجب
 ما دمت أنت والأمير أخوك فى صفاء .

دون جون : أشكرك . وما أنا بأخى بيان^(٢)
 ولكنى شاكر لك

(١) على سبيل الإنذار والفكاهة ، وكثيراً ما يقول الضيف شيئاً كهذا لمضيفه مزاحاً .
 (٢) يبدو من اقتضابه أنه رجل جهل حاد الطبع ، قلما يتأدب فى حديثه ، وهو يمتلئ
 بأنه ليس من أصحاب الكلام ولا من الفصحاء أهل البلاغة .

ليوناتو : تفضل يا مولاي فتقدم بنا
دون بدرو : هات يدك يا ليوناتو ولنسر معاً
(يخرج الجمع إلا بنيديك وكلوديو)

كلوديو : هل لاحظت يا بنيديك
ابنة السنيور ليوناتو ؟

بنيديك : لم ألاحظها ،
ولكني شاهدتها^(١)

كلوديو : أليست ذات خفر وشباب ؟

بنيديك : هل تسألني سؤال رجل صادق
يطلب رأيي الصريح وحكمي الحق ،
أو تريد مني أن أتكلم على عادتي
كلام جبار مشهود له^(٢)

بالقسوة على النساء كلهن ؟

كلوديو : كلا ، أناشدك أن تتكلم بهدوء ،

وتروى في الحكم

بنيديك : يلوح لي حقاً أنها « أقصر » قامة

(١) أى أنه شاهدها ولم يتأملها والفرق ظاهر بين الملاحظة وبين المشاهدة .

(٢) في الأصل طاغية متترف به أو كما نقول في أيامنا هذه « محترف » جبل كراهية

النساء ديدنه .

مما يستحق مديحاً « طويلاً » ،
 وأسمر لوناً مما يستأهل إطراء زاهياً
 وأضال بدنأ مما يستوجب ثناء عظيم^(١)
 وليس لها عندي ما يزيكها إلا شيء واحد ،
 وهو أنها لو لم تكن كما هي ،
 لكانت غير مليحة ،

أما وهي هي ،
 فلست أستحسنها

كلوديو : هل تظنني هازلاً ؟

إنني لأرجو إليك
 أن تنبئني حقاً ما شعورك نحوها .

بنيدك : هل تريد أن تشتريها

ومن أجل ذلك تسأل عنها ؟

كلوديو : هل في وسع الدنيا أن تشتري جوهرة كهذه ؟

بنيدك : نعم ، وحقاً لتوضع فيه ،

ولكن أتنحدث عن جد

(١) هكذا في الأصل ، وقد راعى الناقل الطباق أو التقابل بين قصر القامة وطول المديح وبين سمرة البشرة ، وزاهى الثناء ، وبين ضالة البدن ، وعظم الإطراء ، ويبدو شكسبير في هذه الرواية كثير اللعب بالألفاظ ، مسرفاً في المحسنات وألوان البديع والبيان .

أم تريد العبث بي ؟
 لتقول لنا إن كيوييد بصير ككلب الصيد ،
 وإن فولكان نجار نادر (١) ؟
 ألا قل لي أى نعمة أتخذ
 لكى أوأم أنشودتك ،
 أنعمة فرحة أم محزنة تريد (٢) ؟

كلوديو : إنها فى عيني أملح امرأة
 وقع عليها ناظري .

بنيديك : لا أزال قديراً على النظر بغير منظارين ،
 ولكنى لا أرى شيئاً من هذا القبيل .
 انظر إلى ابنة عمها
 إنها لتفوقها كثيراً فى الجمال ،
 كما يفوق أول مايو آخر ديسمبر ،
 لولا سرعة الغضب التى تتملكها

(١) المعروف أن كيوييد إله الحب أعشى ، فن العبث أن يقال إنه حديد البصر
 ككلب الصيد وأن فولكان إله النار والمعادن فن المزمر أن يقال عنه إنه نجار يحترف صناعة
 الخشب .

(٢) استعارة من الموسيقى . يريد بها المؤلف أن يقول ماذا تريد منى أن أبدو هل أجد أو
 أمزلك لكى أوافقك على رأيك .

ولكنى أرجو ألا تكون متوياً أن تنقلب زوجاً .
أتراك انتويت ؟

كلوديو : لا أحسبني أستطيع السيطرة على نفسي
إذا رضيت هيرو أن تكون زوجتى ،
وإن كنت قد حلفت لا أكون زوجاً .

بتيديك : هل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟

يمينا أليس فى الدنيا رجل واحد ،
لا يلبس قبعته موسوساً متشككاً (١) ؟
ألن يقدر لى مرة أخرى
أن أرى رجلاً أعزب فى الستين من العمر . .
ماذا أصابك ،

يمينا لو استوجب الأمر
إدخال عنقك فى النير
فاليس شعاره أيام الأحد ،
واقضها فى شكاة وأنين ،

فعل المصلين العابدين المستغفرين (٢) .

(١) استعارة يراد بها ، هل خلت الدنيا من رجال لا يستر ييون بنسائهم فهم يضعون القبعات فوق رؤوسهم لإخفاء « قرونها » .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعله المتشددون فى الدين ، وهم طائفة « البيوريتان » المتزمتون فى العبادات على عهد الملكة إليزابيث يوم الأحد إذ يلبسون ثياباً بسيطة ويقضون وقت الصلاة فى عبادة وبكاء وأنين .

انظر ها هو ذا دون بدرو

عائد لافتقاده (يدخل دون بدرو)

دون بدرو : أى سر احتجزك فى هذا المكان

فلم توافقنا إلى دار ليوناتو ؟

بنيديك : أرجو من سماحتك أن تعفينى من الكلام .

دون بدرو : إننى ألزمك بحق ما لى عليك من ولاء .

بنيديك : هل سمعت يا كونت كلوديو ،

أن فى وسعى أن أصمت صمتة الأبكم ،

وأحب أن تفهم هذا عنى .

أما وهو كما ترى

ملزمنى الكلام بحق ما له من ولاء -

إنه يناشدنى القول بحق الولا ،

فلا معدى لى من القول « إنه يحب »

أما من ، فذلك هو دور سماحتك فى استطلاع جليته ..

وانظر بعد إلى « قيصر » الرد الذى هو راده ،

إنه يحب

« هير و » القصيرة ابنة ليوناتو

كلوديو : إذا كان الأمر كذلك فقد باح به

بنيديك : كالقصة القديمة يا مولاي ،

« ليس الأمر كذلك ،

ولم يكن كذلك

ومعاذ الله أن يكون كذلك »^(١)

دون بدرو : يمين الحق لقد قلت ما أعتقد .

كلوديو : ويميناً يا مولاي ،

لقد أفصححت أنا عن خاطري

بنيديك : وبالحقين واليمينين يا مولاي معاً ،

لقد جهرت بما أعتقد

كلوديو : أما أني أحبها ،

فذلك هو شعوري .

(١) القصة القديمة - هذه إشارة إلى قصة قديمة عن سيدة تدعى « الليدى ماري » ذهبت يوماً لزيارة رجل من معارفها يدعى « المستر فوكس » وكان غائباً فاكشفت في بيته حجرة اعتاد أن يخفى فيها جثث النساء اللاتي قتلهن ، ولم تكذب تخرج منها حتى لمحتة والسيوف في يمينه وهو يجر سيدة إلى البيت . فبادرت إلى الاختباء حتى لا يراها ، وحين وصل إلى البيت مضى يجر فريسته فوق مدارج السلم فتمسكت بالسياج فلم يكن منه إلا أن برّ يدها من المعصم بسيفه واستطاع أن يقتادها إلى الحجرة الرهيبة . وأما السيدة ماري فتمكنت من الهرب وأخذت الكف المقطوعة معها دليلاً على الجريمة . وفي ذات يوم كان المستر فوكس يتناول العشاء في دارها فاتهزت هذه الفرصة لامتحانها . ومضت تروى له كيف زارته في بيته كأنها رؤيّة في المنام أو حلم من الأحلام وجعلت تقول خلال الرواية أليس كذلك أو لم يكن الأمر كذلك ، إلى أن وصلت إلى حكاية الحجرة الرهيبة ، فلم يلبث المستر فوكس أن راح يردد ليس الأمر كذلك ولم يكن الأمر كذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك .

دون بدرو : وأما أنها جديرة بالحب ،

فذلك هو علمي .

بنيديك : وأما أني لا أدري كيف تُحَبّ مثلها ،

ولا أعلم كيف تكون بالحب جديرة ؟

فذلك هو الرأي الذي لن تستطيع النار أن تذيبه من أعماق
نفسى ،

ولن أتحوّل عنه ولو مت فوق الحايور .

دون بدرو : لقد كنت أبداً العنيد

فى الكفر بالجمال والازدراء به

كلوديو : ولم يكن يوماً بقادر على الاحتفاظ بكفره وعناده
إلا بقوة إرادته

بنيديك : أما أن امرأة حملت بي ،

فأنا لها شاكر ،

وأنا ربّنى صغيراً ونشأتنى صبيّاً ،

فلها منى أصدق الشكر وأعظم الخضوع .

أما أن تطلق الأبواق عند جبهتى ،

لتردنى عن عقيدتى ، رد كلاب الصيد الطريفة ،

أو أن تعلق خية فى منطقتى ،

فأستميح النساء جميعاً معذرتى ،

وإذ كنت أظلمهن بالشك فيهن ،
فسوف أنصف نفسي فلا أسكن إليهن
و « جملة » القول الذى هو بى « أجمل »
أننى سأعيش أعزب^(١)

دون بدرو : أرجو الله أن أراك قبل مماتى

شاحباً مصفراً من فرط الحب

بنيدك : قل من فرط الغضب ، أو من حدة الوصب ،

أو شدة السغب ، يا مولاي ،

ولا تقل من فرط الحب ،

أثبت أننى سأفقد يوماً من الدم ،

بالحب والغرام والعذاب ،

أكثر مما أستعيده بالشراب ،

أسمل عينيّ بريشة شاعر أغن ،

وعلقنى على باب ماخور

رمزاً لكيوييد الضرير .

دون بدرو : ويوم تتحول عن هذا الرأى ،

(١) حتى أمه التى حملته ووضعت له عندئذ كلفة شكر ، واستعارة الأبواق هنا مأخوذة من الصيد حين يتفخ فيها تنبيهاً إلى الصيادين وكلاهم بوجوب العودة وتعليقها خفية فى متعلقاته مباحز آخر فى المعنى ذاته .

تروح أنت الحجة الرائعة
على نفسك

بنيديك : فإن فعلت فعلقوني في سلة
كالقط وارموني بسهامكم ،
واربتوا على كتف من يصيبني
وادعوه آدم الرامية^(١)

دون بدرو : ليكن الحكم للزمن ،
« فمع الزمن يرضى الثور النافر بالنير حول عنقه » .

بنيديك : قد يرضى به الثور المتوحش ،
ولكن إذا رضى به بنيديك العاقل ،
فانزعوا قرني الثور وأثبتوهما في جهتي ،
وصوروني أنكر ما تصوروني ،
واكتبوا بأحرف غلاظ كالقرون
« هذا حصان يُستأجر »

وليعلنوا تحت رسمي

(١) كانت العادة أن توضع القطط في زجاجات خشبية مدلاة من حبل ومع القطط كية من السناج فن قدر على إصابة الزجاجاة من قاعها وهو يجرى من تحتها ولا يصيبه الهباب . كان هو الفائز وأما « آدم » هنا فأحد ثلاثة اشتهروا بحسن الرماية في تلك الأيام وأولهم آدم بل ، وقد دون الاسقف برسى أعمالهم الرائعة في كتاب « المخلفات » .

« انظروا ها هو ذا بنيديك البعل »^(١)

كلوديو : لو وقع ذلك يوماً

لكنت مجنوناً « صارخاً من قرونة »

دون بدرو : أجل ، إذا لم يكن كيوبيد قد بعث

إلى البندقية بكل ما في جعبته من السهام المريشة^(٢)

فستصبح وشيكا « ساهماً » ، « راعشاً » ،

كريشة في مهب الريح^(٣)

بنيديك : بل لتزلزل الأرض يومئذ زلزالها

دون بدرو : سيأتى ذلك اليوم المشئوم فلا تستعجله .

والآن ادخل يا سنيور بنيديك الكريم

إلى دار ليوناتو وأقرئه عنى السلام

ونسبته أننى لن أتأخر عن موعد العشاء ،

(١) نهاية في وصف كراهيته للزواج ، انظر إلى إشارته إلى « القرون » وحصان الأجرة كما جاء رد كلوديو « صارخاً من قرونة » مناسباً للوضع .

(٢) إشارة إلى السهام التى يحملها إله الحب فى كنانته . وقوله « فينيسيا » يرجع إلى شهرة البندقية بكثرة العشاق . والمعنى أن كيوبيد سيستفد كل ما لديه من السهام إذا هو زار تلك المدينة ، أما إذا بنى لديه منها شيء فلن يلبث بنيديك أن يصبح من سهام الحب جريحاً .

(٣) استعرنا هذا الوصف « ساهماً » « راعشاً » « كريشة » . . . إلخ للتقريب بين الجناس الذى لحا شكسبير إليه ، فإن كلمة الجعبة فى الإنجليزية هى quiver وهى أيضاً فعل معناها « يوعش » وقد أشبعنا الاستعارة للمقابلة بين قولنا « السهام المريشة » وبين قولنا « ساهماً راعشاً كريشة » .

لأنه في الحق قد استعد

استعداداً عظيماً .

بنيديك : أكاد أجد في نفسي من الذكاء

ما يكفي لتأدية هذه السفارة ،

ولهذا أترككما لـ . . .

كلوديو : لرعاية الله — من

متزلي (لو كان لي منزل)^(١)

دون بدرو : السادس من شهر يوليو . . . صديقك

المحب بنيديك^(٢)

بنيديك : لا تسخر . . . لا تسخر ،

إن صلب مناقشاتك ليبدو أحياناً

كالثوب الكثير الحلقات والحواشي ،

ولكنها حواش ملفقة على الثوب ،

أو لاصقة قليلاً به^(٣) ،

(١) عبارة كانت العادة في ذلك العهد أن تكتب في نهاية الخطاب كقولنا اليوم « وتفضلوا إلخ » وأضاف من « منزل » كقولنا « تحريراً في » ، وزاد بين قوسين « لو كان لي منزل لأنه بعيد عن بلده » .

(٢) وأردف دون بدرو مكملًا « السادس من شهر يوليو » — أي التاريخ — المحب « بنيديك » إشارة إلى التاريخ والإمضاء والنكتة في تعيين السادس من يوليو ، لأنه « الربيع » وفيه يكثر « الحب » .

(٣) يريد أن مناقشاتك متصلة ببعض الشيء بالمتعضيات القليلة الصلة بموضوع المناقشة .

وقبل أن تمعنا في السخرية من كلامي
 عودا إلى ضميريكما : . وبهذا أترككما . (يخرج)
 كلوديو : مولاي ، إنك لتستطيع اليوم
 أن تنفعي .

دون بدرو : إن حيي لك يطلب علماً ،
 بما تريد ،
 فما عليك إلا أن تعلمه كيف يخدمك ،
 تجده مستعداً لكل درس صعب فيه لك خير (١)

كلوديو : هل لليوناتو ولد يا مولاي ؟
 دون بدرو : ليس له إلا ابنته « هيرو » ،
 وهي وريثته الوحيدة ،
 فهل تحبها يا كلوديو ؟

كلوديو : آه يا مولاي ،
 حين ذهبت إلى هذه الحرب التي وضعت أوزارها منذ قليل ،
 كنت أنظر إليها بعين جندي ينازعه الميل .
 ولكن أمامه مهمة أشق من الدفع بعاطفة « الميل »
 إلى اسم « الحب » ، أما الآن فقد عدت ،

(١) استعارة من التعليم والتلقين ، ومعناها « أفهمي ماذا تريد أن أفعل في سبيل خدمتك وأنا لا أتردد » .

وخلا الذهن من أفكار الحرب ،
 وحلت مكانها كثرة الأمانى العذبة الرقيقة ،
 تدفعني كلها إلى التفكير في مدى حُسْن هيرو وفتنة جمالها ،
 وقد قلت إنني كنت « أميل » إليها ،
 قبل أن أذهب إلى الحرب (١) .

دون بدرو : لن تلبث أن تصبح عاشقاً مستهماً ،
 تتعب سامعيك بأحاديث الحب ، وكتب العاشقين (٢) ،
 فإن كنت تحب الحسناء هيرو ،
 فاحرص على حبها ، وامض فيه ،
 وسأحمل النبأ إليها ، وأتحدث إلى أبيها ، وستكون لك .
 أليس هذا هو الغرض
 الذى مضيت من أجله تحيك نسج القصة الممتعة ؟
 كلوديو : ما أبدع علاجك للحب ؟ !
 إنك لتعرف أحزانه من سماته ،
 وخشية أن يبدو حيي مفاجئاً أكثر مما ينبغي ،

(١) يريد أن يقول إنه كان مجرد « ميل » في نفسه قبل الذهاب إلى الحرب ، ولكنه حين عاد منها وزالت أفكار القتال ومشاغله ، بدأ ينعم النظر في جمالها ، وخاصة أنه كان « يميل » من قبل إليها .

(٢) اعتاد شكسبير أن يقرن الحب بالكعب في أكثر من رواية .

وددت لو أنى تشفعت له^(١) بأطول من هذا حديثاً .

دون بدرو : وهل يحتاج الجسر ،
 أن يكون أعرض كثيراً من النهر ،
 إن أجمل المنح ما ينى بالضرورة^(٢) ،
 وكل ما يؤدي الغرض « يجدى »
 وحسبى أن أعلم أنك نضو حب
 لكى « أجدى » عليك بدوائه^(٣) ،
 إننا سنقضى الليلة فى قصف ومرح
 وسأنتحل شخصك متنكراً ،
 وأدعى للحسناء هيرو أننى كلوديو
 وسأكشف لها عما فى قلبى .
 وأستولى على سمعها
 بقوة بيانى ، وقصة حبي .

(١) فى الأصل أضأته أو فسرتة أو طليته بطلاء يزيد رواء .

(٢) استعارة من القناطر والقنوات . والمعنى لا يحتاج الأمر إلى بيان كثير . وقد بنى على هذا المعنى العبارة التالية التى لا تبدو واضحة ولكن المراد بها أن ليس للإنسان فى تايبة رجاء يتقدم به إلى آخر من مذر أوجه من الضرورة التى تقضى بوجوب تليته والمعنى لا ضرورة لزيادة الشرح لأن الموضوع ظاهر .

(٣) كل ما يؤدي الغرض « يجدى » ولكى « أجدى عليك » بدوائه - مقابلة للتقريب بين الطباق فى الأصل .

ثم أحمل النبأ بعدئذ إلى أبيها .
 فينتهى الأمر بظفرك بها ،
 هيا بنا ننفذ هذه الفكرة فى الحال .

(يخرجان)

المنظر الثانى

فى إحدى حجرات بيت ليوناتو
 يدخل ليوناتو فيلتقى بأنطونيو

ليوناتو : ماذا تم يا أخى .

وأين ابن أخى ، ولدك ؟
 هل أعد الموسيقى ؟

أنطونيو : إنه منهمك بإعدادها ،

ولكنى سأقص عليك الساعة
 يا بن أمى

أنباء عجيبة لم تحلم بمثلها .

ليوناتو : أهى أنباء سارة ؟

أنطونيو : كما يوحى « طابع » أحداثها^(١) .

(١) استخدم شكسبير كلمة « طابع » هنا والمعنى أن أهمية النبأ تقاس بجمهره أو مخبر

ولكن مظهره على كل حال حسن .

ولكن لها مظهراً حسناً ، وغطاء جميلاً ،
 فقد استرق أحد رجالى السمع على الأمير والكونت كلوديو
 وهما يمشيان خلال دغلة كثيفة فى بستانى ،
 فسمع الأمير يفضى إلى كلوديو
 أنه يحب كريمتك ابنة أخى ،
 وأن فى نيته أن يعلن ذلك اللبابة فى المرقص ،
 فإن وجدها موافقة أمسك بالفرصة من شعرها^(١)
 فكاشفك فى الحال بالنبا .

ليوناتو : هل أوتى الرجل الذى نباك بهذا مسكة من الفطنة ؟
 أنطونيو : إنه الذكى الفطن . سأبعث فى طلبه لتسأله بنفسك .
 ليوناتو : كلا . كلا — دعنا نعد ذلك حلماً حتى يتحقق .
 ولكنى سأقصه على ابنتى
 حتى تستعد للجواب إن صح .
 اذهب أنت فنبها
 (يدخل الأتباع)
 يا أبناء العم^(٢) أحسبكم تعرفون ما عليكم .

(١) استعارة ، وقد اعتادها شكسبير فى كثير من رواياته ، وقد رأيناها أحياناً يقول
 « يمسك بالفرصة من جدائلها ، أو من قرنها » .
 (٢) هكذا فى الأصل . والغالب أنهم من ذوى قرباء الفقراء .

آه أتوسل إليك يا صديقي أن تذهب إليها ،
وسأبقى أنا لأستعين بخبرتك ،
وأنت يا ابن أخي الكريم ، أرجو بذل المهمة .
(يخرجون)

المنظر الثالث

في الحجرة ذاتها
يدخل دون جون وكوزراد

كوزراد : يا للعجب (١) يا مولاي .
ما بالي أراك حزيناً إلى هذا الحد (٢)
دون جون : لا حد للحادث الذي استوجب ذلك ،
ومن هنا كان حزني بغير حد .
كوزراد : أحرى بك أن تستمع لصوت العقل .
دون جون : وأي خير في الاستماع له ؟
كوزراد : إن لم يكن فيه علاج عاجل ،
ففيه على الأقل تصبّر إلى حين .

(١) هو في الأصل قسم بالعامية .

(٢) لعب شكسبير بهذه العبارة « إلى هذا الحد » فجعل دون جون يقول لا حد للحادث الذي استوجب حزني ، ومن هنا كان حزني متجاوزاً كل حد .

دون جون : أعجب لك وأنت القائل عن نفسك :

إن « زحل » كوكبك^(١) .

كيف تريد أن تستخدم أسفية روحية لعلاج علة مودية !

ليس في إمكاني أن أخفي ما بي ،

إني لأحزن حين ينهض للحزن سبب .

فلا أبتسم لمزاح أي إنسان .

وآكل إذا جعت

ولا أنتظر أحداً ، إذا وجدت عندي شهوة إلى الطعام .

وأنام ، حين يداعب عيني النعاس ،

فلا أحفل بشئون الناس .

وأضحك حين أنشرح .

وأبتهج حين تسر النفس وتفتح ،

ولا أجارى إنساناً في هذره^(٢) .

كوزراد : نعم ، ولكن ينبغي أن لا تبدى ذلك كله ،

حتى يتيسر لك أن تبديه دون أن يكون عليك في ذلك حرج .

(١) رأينا الشاعر يتحدث كثيراً عن « الطوالع » وعلاقة الناس وأمزجتهم ومصابيرهم بالكواكب . وكان الأقدمون يعتقدون أن الذين يلتق مولدهم بزحل يبدوون متجهمين مكتئبين سريعي الانفعال .

(٢) أي : نه رجل صريح في سائر حركاته وتصرفاته .

لقد رأيناك من عهد قريب واجداً على أخيك ،
ثم ألفيناك أخيراً يدخلك في حظوته ، ويشملك بمرضاته ،
ولست بمستطيع أن تحتفظ بمكانتك هذه ،

إلا إذا خلقت أنت الجو الطيب ،

وأولى بك أن تهىء أنت الموسم الذى يوائم حصادك .

دون جون : إني لأوثر أن أكون زهرة برية ، فوق سياج أو باب ،

على أن أكون وردة جميلة فى حديقته ،

ولأنه لأنسب لمزاجي أن أكون عند الناس موضع ازدراء ،

من أن أغير طبعي لأستلب من أحد حباً ،

أو أنال منه المودة غصباً ،

وإذا لم أوصف لهذا السبب بأنى رجل غير متملق ،

فإن أحداً لا ينكر على أننى أخو شر صريح ،

لقد وثقوا بي بعد أن عقدوا لسانى ،

وأطلقوني بعد أن وضعوا النير حول رقبتى ،

ولهذا قررت أن لا أغنى وأنا حبس فى قفصى ،

ولو كان فى طليقاً لعضضت ،

ولو أعطيت حريتي لفعامت ، وفق مشيئتي .

أما الأمر ليس كذلك ،

فدعنى كما أنا .

ولا تلتمس لي تغييراً ولا تبديلاً .

كونراد : ألا تستطيع استخدام شيء من سخطك وضغينتك ؟

دون جون : كل الاستخدام ، إذ ليس لي سواهما . . .

تري من هذا القدام . . ؟

(يدخل بوراشيو)

دون جون : ما وراءك يا بوراشيو ؟

بوراشيو : إنني قادم من عشاء عظيم :

أقامه ليوناتو احتفالاً بالأمير أخيك ؛

وفي وسعي أن أحدثك

عن زواج معتزم .

دون جون : هل يصلح أساساً تبني من فوقه شراً ،

ومن هو هذا الأحق الذي يريد أن يبني بمحنة ؟

بوراشيو : في الحق إنه مساعد أخيك الأيمن

دون جون : من ؟ كلوديو ، أشد الناس رشاقة وأكثرهم تألقاً ؟

بوراشيو : أي نعم هو .

دون جون : إنه امرؤ مليح ! (١)

ومن . . . وإلى من تراه يتجه ؟

(١) وصف ساحر وقادراً .

بوراشيو : إلى هير و ابنة ليوناتو ووريشته
ما في ذلك شك .

دون جون : إنها لفتاة نضجت قبل الأوان ،
ومن أين عرفت هذا ؟

بوراشيو : عهدوا إلى بحرق البخور في الحجرات وتعطيها ،
وفيا كنت أعطر غرفة زهمة ،
إذ جاء الأمير وكاوديو يسيران يداً في يد
وهما في حديث جدى ،

فاختبأت من فوري خلف الستار وتصنت عليهما ، فسمعتهما
يتفقان على أن يتقدم الأمير إلى هير و فيخطبها لنفسه ،
فإذا ظفر برضاها أسلمها إلى الكونت كلوديو .

دون جون : هلموا بنا ، هلموا إلى هناك .

فقد يصلح هذا غذاء لسخى ،
إن هذا الفتى المحدث النعمة

هو الذى ارتفع على أنقاضى ،

ولو استطعت أن أحول دون غرضه بأى سبيل ،

لعددت نفسى السعيد من كل ناحية .

كلاهما رجل موثق به ، وسوف تساعدانى ، أليس كذلك ؟

كونراد : حتى الموت يا مولاي .

دون جون : هلموا بنا إلى مأدبة العشاء الكبرى ،
 إن بهجتهم لتغدو أبلغ وأكبر إذا رأوني مستسلماً مستكيناً ،
 ليت الطاهي كان من رأيي ،
 أنذهب لنحاول ما نستطيع فعله ؟
 بوراشيو : إننا في خدمتك يا مولاي .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

قاعة فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وهيرو وبياتريس وآخرون

ليوناتو : ألم يحضر الكونت جون العشاء هنا ؟

أنطونيو : لم أراه .

بياتريس : لشد ما يلوح هذا السيد نكدأ مكتئباً ،

ما رأيته مرة إلا أحسست حرقة قلب

ساعة بعد رؤيته^(١) .

هيرو : إنه ذو مزاج سوداوى .

بياتريس : ما أبدع الرجل الذى

هو وسط بينه وبين بنيديك :

أحدهما أشبه بصنم لا يتكلم ،

والآخر أشبه شىء بالابن الأكبر المدلل لا يكف عن الثثرة

(١) تعنى الحرقة التى يشعر المرء بها عقب تناول طعام حريف ، إشارة إلى حموضة مزاج

(٢) أى لو أن الرجلين مزجا لكان من مزجهما رجل بديع . وفى الأصل عن الابن ا

قوله « الابن الأكبر لميلدى » وهو تعبير لا يقصد به سيدة معينة ولكن المراد منه هو أ

الأبناء الذى سوف يرث أبويه ، كما هو الشأن فى قانون الوراثة عند الإنجليز ، ومن ثم يه

المدلل فى الأسرة فلا يكف عادة عن الكلام .

ايوناتو : ليت نصف لسان السنيور بنيديك

في فم الكونت جون .

ونصف كآبة الكونت جون في وجه السنيور بنيديك.

بياتريس : إن رجلاً كهذا يا عماه ، إذا جمع إلى ما وصفت .

ساقاً طيبة ، وقدماً حسنة ، ومالاً في كيسه كافياً ،

لظافر بأية امرأة في العالم ،

إذا استطاع كسب مرضاتها .

ليوناتو : يمين الحق يا ابنة الأخ ،

لن تصيبي على الدهر كله زوجاً إذا ظل لسانك

على هذا النحو سليطاً .

انطونيو : في الحق إنها ذات لسان مفرط في سلاطته .

بياتريس : المفرط في سلاطته معناه أكثر من سليط .

وحاشا أن أغض من عطية الله من هذه الناحية ،

فتد قيل إن الله يعطى البقرة الشكسة قرنين قصيرين ،

ولكنه لا يهب الشكسة أكثر مما ينبغي شيئاً من القرون^(١)

ليوناتو : ومعنى هذا أن الله لن يعطيك قروناً

ما دمت سليطة أكثر مما ينبغي .

(١) مثل قديم لعله مثل لآتين ومعناه أن الله يهب قروناً قصيرة للثور الشرس ، أى إن الغضاب من الناس لا يستطيعون الإيذاء الذي يظن أنهم القادرون عليه .

بياتريس : هذا يصدق كل الصدق ، إذا هو لم يهينى زوجاً ،
وهي نعمة أشكرها له وأصلي له من أجلها كل صباح ومساء ،
رباه إني ، لا طاقة لي بزواج ذى لحية ،
وأوثر الرقاد بين الأغطية الصوفية من غير ملاءات^(١)
ليوناتو : قد تقعين على زوج لا لحية له .

بياتريس : ماذا أصنع به ؟
أألبسه ثوبي وأتخذه وصيفة لي ؟
فأما من أوتى لحية فهو أكثر من شاب ،
وأما من لا لحية له فهو أقل من رجل ،
ومن هو أكثر من شاب لا يصلح لمثلي ،
ومن هو أقل من رجل لا أصلح أنا له ،
فالحير لي إذن أن آخذ دراهم معلودات من القراء
وأستاق قردته إلى الجحيم .

ليوناتو : وهل تدخلين عندئذ الجحيم ؟
بياتريس : كلا . . . بل أسير بها إلى الباب
فيلتقي إبليس بـ لديه ، ديوثاً شيخاً
ذا قرنين ، فيقول لي :

(١) أى تفضل عند النوم النطاء المألوف كناية يرمى بها إلى الشعر الذى تجتمع منه لحية الرجل ، ولكنها أيضاً لا ترضى بزواج غير ملتج ، ولها فى ذلك تعليل لطيف كما سيرد .

« اذهبي بياتريس إلى الجنة ، لا مكان هنا للأبكار » ،

وعندئذ أسلمه قرودى^(١) ، وأنطلق إلى القديس بطرس في الجنة

فيربى المكان الذى يقيم فيه العزاب ،

فنعيش هناك ونمرح ما طال النهار .

أنطونيو : (مخاطباً هيرى) يقينى أنك ستطاوعين أباك وترضين بولايته .

بياتريس : أجل والله ، إن واجب ابنة عمى

أن تنحنى لأبيها أدباً وتقول :

« أبت ، افعل ما تشاء » ،

ولكن ليكن فى وسى ،

وإلا انحنى لأبيها انحناءة أخرى

وهى تقول : « أبت ، أفعل ما أشاء » .

ليوناترو : أرجو يا ابنة الأخ أن أراك يوماً ذات زوج .

بياتريس : حاشا . . حتى يخلق الله الرجال

من عنصر آخر غير « التراب » .

ألا يحزن المرأة أن تسيطر عليها قطعة من حملاً مسنون ؟ ،

(١) فى الأصل « بجد » أى فعلاً : وهو العربون على قبول العمل وقلنا المنتقل بالقردة تجاوزاً ، لأنه فى النص صاحب الدببة الذى ينتقل فى الموالد والمهرجانات لحملها على الرقص أمام المشاهدين . وأكبر الظن أن استيقاق القردة إلى الجحيم : جزء من مثل قديم يشير إلى فكرة شائعة وهى أن النساء اللاتى يابئن الزواج مقضى عليهن بعد الموت بالطواف بها حول جهنم وقد وردت هذه العبارة فى رواية أخرى لشكسبير . ولكن لا يدري أحد سر تحديد هذه العقوبة لمن .

أليس أليماً لها أن تقدم حساباً عن حياتها إلى
قبضة من تراب جاف ؟

كلا يا عماء ، لن يكون لي بعل ،
إن أولاد آدم لإخوتي ، وفي الحق لإنني
لأعد الزواج من ذوى قرابتي إنمأ^(١)

ليوناتو : تذكرى يا ابنتى ما قلته لك ،
إذا فاتحك الأمير فى هذا الأمر^(٢)
فأنت تعرفين الجواب .

بياتريس : سيكون الذنب يا ابنة العم ذنب الموسيقى
إذا لم تُخطبى فى الحين المناسب .
فإن رأيت الأمير ملحقاً ملحقاً فقولى له :
إن الاعتدال مطلوب فى كل شئ ،
وانطلقى بالجواب خطرناً ورقصاً ،
واعلمى يا هير و أن الغزل
ثم القران ، ثم الندامة ، أشبه برقصات ثلاث ،

(١) تعليل جميل لكراهيتها الرجال وعدم رغبتها عن الزواج ، فقد بدأت بالسخرية
وعملت كراهيتها للقران بالكبرياء ، لأن الرجل مخلوق من تراب ، ثم انتهت متلطفة فقالت إنهم
إخوتها من آدم ، ومن الإثم أن تتزوج الأخت أخاها .
(٢) أى الخطبة والقران . فى الأصل « مهما » ولكن الصحيح هو ما ذكرنا للتشابه فى
الإنجليزية بين مهم وملحاح .

وهى الرقصة الإسكتلندية السريعة الدوامة ، والرقصة المتتدة المترنة . والخطوات الخمس^(١) .

فأما الأولى وهى « الخطبة » فحارة عجلى كالرقصة الإسكتلندية

وأما خطوة القران فمعتدلة كالرقصة الثانية

وإن حفلت بكل ما شئت من فخفخة ، وحشمة وحفاظ قديم ،

ثم تأتى خطوة الندامة فتتخاذل فيها من الرجل الساقان ، وتمضيان إلى الرقصة الثالثة وشيكاً وتتحولان ، حتى يتردى الرجل فى قبره .

ليوناتو : إنك لعليمة بفنون الرقص خبيرة يا ابنة العم !

بياتريس : إن لى عيناً حديدية يا عماء ،

وأستطيع أن أبصر

كنيسة على ضياء النهار^(٢)

(١) استعارة من الرقص . وقد أجاد شكسبير وصف الأدوار الثلاثة والخطوات الخمس

رقصة الرقم ٥ . وهى تسمى بالفرنسية « سانك پا » وكذلك وردت فى النص .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولكن المراد أنها تستطيع الذهاب إلى الكنيسة ليعقد فيها قرانها

أى إنها مدركة ماذا وراء الزواج وجملة متاعبه .

- ليوناتو : المدعوون يا أخى قادمون ، فافسحوا لهم .
 (يضع الجميع أقتنعتهم على وجوههم)
 (يدخل دون بدرو - وكلوديو - وبنيديك - وبلتازار -
 ودون جون - وبوراشيو - ومرجريت - وأرسولا - وغيرهم
 والجميع مقنعون) .
- دون بدرو : أيتها السيدة هل تسمحين بأن تخطرى مع
 صديق لك ؟
- هيرو : بشرط أن تخطر برفق . وتنظر بلطف ،
 ولا تقول شيئاً ، إننى لك سيراً وخطراناً ،
 وخاصة حين أنسحب .
- دون بدرو : وأنا فى صحبتك ؟
- هيرو : قد أقول ذلك ، حين يروقنى .
- دون بدرو : ومتى يروقك أن تقوليه ؟
- هيرو : حين يرضينى وجهك ، ويعجبينى بحياك ،
 وأرجو الله أن لا يكون المزهر كغطائه^(١) .
- دون بدرو : إن قناعى هو سقف فيلمون .
 فى بيت زفس .

(١) أى إن القناع الذى تقنعت به قبيح ولا مسحة عليه من جمال ، وأعوذ بالله إن كان الوجه الذى يخفيه قبيحاً مثله . والمزهر كفعل هو القيثارة .

- هيرو : أولى به إذن أن يكون من قش^(١)
- دون بدر : اغضضى من صوتك ، إذا شئت الكلام في الحب
(يتحى بها جانباً)
- بلتازار : (وهو يراقص مرجريت) أود لو أنك تميلين إلى .
- مرجريت : لا أود أن أفعل . وهذا من أجل مصلحتك
لأن لى عيوباً كثيرة .
- بلتازار : وما هو أولها ؟
- مرجريت : إننى أجهر بصلاتى
- بلتازار : هذا ما يزيدنى لك حباً . . .
- فقد يصيح السامعون آمين
- مرجريت : اللهم هبى راقصاً بارعاً .
- بلتازار : آمين
- مرجريت : والله أبعد من عيني
- إذا انتهى الرقص . . . أجب يا كاتب^(٢)

(١) يشير شكسبير هنا إلى قصة « فيلمون » فى الأساطير اليونانية القديمة فقد كان فيلمون زوجاً ليتوسيس ولما زار زفس وهرمس مدينة « برجيا » التى يتسمى فيلمون إليها متنكرين فى زى البشر لم يقبل أحد لإكرام مثواهما إلا فيلمون وامرأته فقد استضافاهما فى كوخ حقير ذى سقف معروش فجزاهما زفس أحسن الجزاء وعاقب أهل برجسيا بسيل عرم . وحقق الأمنية الوحيدة التى كانت لهما وهى أن يموتا معاً فى لحظة واحدة .

(٢) هو فى الكنيسة الموكل بالقناديل أو « القندلفت » وإشارة هنا عند انتهاء كل صلاة أن يقول آمين .

- بلتازار : لا كلام عندي . . لقد تلقى الكاتب الجواب .
- أورسولا : (لأنطونيو وهي تراقصه) أعرفك حق المعرفة ، فأنت السنيور أنطونيو .
- أنطونيو : ثقي أني لست هو .
- أورسولا : أعرفك بهزة رأسك .
- أنطونيو : إن شئت الحق قلت إنني أقلده .
- أورسولا : ما كان في وسعك أن تجيد تقليد معايبه إلى هذا الحد لو لم تكنه حقاً .
- ها هي ذى يده الحشنة تعلو وتهبط .
- أنت هو . . . أنت هو .
- أنطونيو : ثقي أني لست هو .
- أورسولا : أقبل ! أقبل ! أتحسبني لا أعرفك
- من حدة ذكائك وفائق فطنتك ، وهل في وسع الفضيلة أن تخفي نفسها ، هيا قل إنك هو .
- الفضل ظاهر ، فلا مجال لقول قائل .
- بياتريس : (وهي تراقص بنيديك) ألا تريد أن تنبئني من قال لك ذلك؟
- بنيديك : كلا ، ومغفرة .
- بياتريس : أولاً تنبئني من أنت ؟
- بنيديك : لن أنبئك بذلك الآن .

بياتريس : إن الذى قال عني إننى متكبرة متعجرفة
وأن نكائى البارعة مأخوذة من « المائة نادرة »
هو السنيور بنيديك^(١)

بنيديك : ومن يكون ؟

بياتريس : إننى على يقين من أنك تعرفه
جد المعرفة .

بنيديك : لست أعرفه . . . صدقينى

بياتريس : ألم يثر يوماً فى نفسك الضحك ؟

بنيديك : أناشدك من هو ؟

بياتريس : كيف هذا ؟ إنه مهذار الأمير^(٢) ،

وهو مضحكه ، سمج ، كل موهبته اختراع

فريات ووشايات لا تجوز على عاقل ،

ولا يستروح إليها غير الفتيان المستهترين ،

(١) هو كتاب « نكت » قديم طبع فى سنة ١٥٢٦ وكل النكات فيه « سقيمة » وقد وصف بنيديك أمازيح بياتريس هذا الوصف وهو يريد به أن نكاتها كذلك وأنها محفوظات لا نكات تأتى على البديهة . والكتاب يحوى مائة قصة أو نادرة ولعله ترجمة كتاب « ديكاميرون » الذى وضعه بوكاشيو الإيطالى وكان قد نقل إلى الإنجليزية فى عهد شكسبير .

(٢) كان لدى كل أمير « مهذار » أو مهرج فى خدمته . وقد كتبت مارى لام أخت تشارلس لام فى كتابها « قصص من شكسبير » تقول إن هذه الكلمة كانت أعمق أثراً فى نفس بنيديك من سائر نكات بياتريس وسخرىاتها . وقد اعترف بنيديك بذلك فى مناجاته لنفسه كما سيرد بعد .

لا يرضيهم منه ذكاؤه وإنما يثيرهم خبثه ،
فهو يرضى الناس ويغضبهم ، فيضحكون منه ثم يضربونه ،
وأنا واثقة أنه بين الحاضرين ،
وددت لو أنه تعرض لى .

بنيديك : سأقول له كل هذا حين أعرفه .

بياتريس : أرجوك أن تفعل . وسوف ينالنى بنكتة

أو نكتتين وقد لا ينتبه أحد إليها .

ولا يجد من يضحك لها . فتنتابه الكتابة ، ويصيبه الغم ،
وفى ذلك اقتصاد جناح بطة^(١) .

لأن هذا المغفل لن يأكل الليلة . (تغزف الموسيقى)

دعنا نتبع الراقصين الأولين .

بنيديك : فى كل شىء حسن .

بياتريس : أجل ، وإذا ساقانا إلى شين

تركتهما عند أول منعطف .

(رقص ، ثم ينصرف الجمع عدا دون جون وبوراشيو وكليديو)

دون جون : لا شك عندى فى أن أختى مستهام بهيرو

وقد انتحى بأبيها ناحية ليتحدث إليه عنها ،

وقد رأيت السيدات يتبعنها :

(١) أى سيوفر شيئاً من الطعام لأنه سيتألم فلا يقبل عليه .

ولم يبق غير وجه واحد ملثم .

بوراشيو : وهو وجه كلوديو . إننى أعرفه من سمته .

دون جون : أأست السنيور بنيدليك ؟

كلوديو : أنت تعرفنى حق المعرفة . أنا هو .

دون جون : أنت يا سنيور صاحب سر

أخى^(١) فى حبه ، إنه بهيرو مغرم كلف ،

أناشدك أن تُسنيه عن حبها لأنها لا تساويه مولداً ،

ولو قد فعلت ، لأدبت إليه ما يؤديه الناصح الأمين .

كلوديو : من أين عرفت أنه يحبها ؟

دون جون : لقد سمعته يقسم أنه يحبها .

بوراشيو : وأنا كذلك ، وقد حلف أنه سيتزوج بها الليلة .

دون جون : هلم بنا إلى المأدبة

(يخرج دون جون و بوراشيو)

كلوديو : (مناجياً نفسه) هكذا أجبت باسم بنيدليك ،

وإن سمعت نبأ سوء بأذنى كلوديو .

إن الأمر مؤكد فإن الأمير يخطبها لنفسه .

إن الصداقة فى كل شيء وفية وهوضع ثقة إلانى خدمة الحب .

(١) من هيته أو حركاته أو مظهره - فى الأصل أنك قريب جداً منه فى حبه ولكن المعنى

المراد هو أنه يعرف كل شيء عن هذا الحب ، وأن أخاه يثق به ويتحدث إليه عنه .

وشئونه ، ولهذا السبب ينبغي للقلوب المحبة أن لا تستخدم
سوى ألسنتها ولتفاوض كل عين عن ذاتها ، ولا تثق بأحد
يتولى المفاوضة عنها .

لأن الجمال ساحر ،

لا يلبث الوفاء حيال فتونه أن يستحيل هيماً .

وأن هذا الحادث ينهض الدليل في كل ساعة على صحته ،

ولكنى لم أفطن إليه ، ولهذا وداعاً يا هير و . . .

إني عنك لمنصرف

(يدخل بنيدك)

بنيدك : الكونت كلوديو ؟

كلوديو : نعم . ها أنذا

بنيدك : هلم . . . ألا تأتى معى ؟

كلوديو : إلى أين ؟

بنيدك : إلى أقرب صمصافة^(١) يا كونت ،

فهناك المكان الذى يليق بك ،

قل لى فى أى شكل تريد أن تضع إكليلك^(٢) ؟ ،

(١) الصمصافة : رمز الحب البائس .

(٢) أى أدبيل من الصمصاف .

أحول عنقك كسلسلة المرابي (١) ؟ .

أم حول ذراعك كشارة الضابط (٢) ؟ .

واحدة من اثنتين . لأن الأمير قد ظفر بهير والتي فنتتك .

كلوديو : ليفرح بها

بنيديك : ما هذا ! إنك لتتكلم بلهجة بائع الماشية الأمين في سوق

العجول، ولكن هل كنت تظن الأمير فاعلا بك هذا؟

كلوديو : إليك عنى . . . أرجوك .

بنيديك : وى . . إنك الآن تتخبط كالأعمى اصطدم بالعمود .

إن الغلام هو الذى سرق لحملك ،

ولكنك تصطدم بالعمود (٣) .

كلوديو : إذا لم تنصرف عنى انصرفت أنا عنك . (ينصرف)

بنيديك : (لنفسه) واأسفاه . . أيتها الدجاجة الجريح المسكينة . .

إنها الساعة متسللة إلى العشب الملتف تخفى جرحها . .

(١) كانت عادة كبار الناس والتجار وهم يرمثل المرابون أن يلبسوا سلاسل من الذهب ، كما يفعل اليوم في بريطانيا أصحاب المناصب في الحفلات الرسمية .

(٢) كالوشاح يلبس فوق إحدى الكتفين وتحت الذراع المقابلة . والمعنى هل أنت معزّم أن تفعل كاليهود والمرابين في هذه المسألة فتطالب الأمير بتعويض عن خسارتك أو في نيتك أن تكون جندياً فتطلب إليه المبارزة غضبة لكرامتك ؟

(٣) حكاية كانت معروفة في ذلك الحين عن رجل أعمى سرق غلاماً لحماً له وحاول الفرار به ، فجعل الأعمى يعثر وراءه فيصطدم بعمود في طريقه وهو لا يشعر .

ولكن سواء عرفتني السيدة بياتريس أو لم تعرفني :
 مهذار الأمير (١) . . . ها . . . ها . . . لعل حملت هذا اللقب
 لأنى أخو فكاهة مرح .
 نعم . غير أنى بذلك أسىء إلى نفسى .
 ولكنى لم أشتهر بهذا . وإنما هى نزعة
 بياتريس السافلة ،
 وفطرتها المريرة التى جعلتها تضع العالم كله فى شخصها ،
 وتصفنى بهذا الوصف . ولكنى سأنتقم منها إذا وجدت
 إلى الانتقام سبيلا .
 (يدخل دون بدرو)

دون بدرو : والآن يا سنيور أين الكونت ؟ ألم تره ؟

بنيديك : يمين الحق يا مولاي . .

لقد مثلت دور السيدة « شائعة » (٢) :

فقد وجدته هنا ساهماً كثيراً ككوخ الحارس الموكل بأرض

(١) فى مناجاته لنفسه يردد كلمة قالتها نه بياتريس وهى أنه مهذار الأمير وقد جرحته
 هذه الكلمة وتأنى لها أشد الألم كما يبدو هنا . ولكنه عاد بسرى عن نفسه بأن أحداً لم يقل هذا
 عنه . إنما هى من فرط غمورها وضعت العالم كله فى شخصها ورمته بهذه الكنية .

(٢) أراد شكسبير بهذا أن يجعل « الإشاعة » سيدة فدعاها « السيدة إشاعة » من قبيل
 إطلاق العاقل على غير العاقل . والمعنى أنه يمثل دورها وأنه سيحكى لدون بدرو ما جرى بينه
 وبين كلوديو والنسب الذى - كما - هذا حين سمع النبأ منه .

صيد^(١) فأنبأته ، وأحسبني أنبأته الحق ،
 إن مولاي ظفر برضى هذه الغانية الشابة ،
 وعرضت عليه أن يصحبني إلى شجرة صفصاف ،
 لأصنع له إكليلًا من ورقه
 شأن الفاشل في حبه ،
 أو لأعد له منها عصا لأنه استوجب الضرب .

دون بدرو : الضرب ؟ وما الذنب الذي أتاه ؟

بنيديك : ذنب تلميذ تناهى به الفرح بالعثور على عش عصافير
 فأراه لصاحبه فسرقه هذا الصاحب .

دون بدرو : هل تعد الثقة ذنباً ؟

إن الذنب ذنب السارق .

بنيديك : ولكن هذا هو الذي جرى . العصا أعدت ، والإكليل
 عقد ، ولم يكن هذا عبثاً .

فأما الإكليل فقد كان من الجائز أن يلبسه هو ،

وأما العصا فلعله منعم بها عليك ،

لأنك كما فهمت منه سرقت عش عصافيره .

دون بدرو : سأعلمها الشدو ثم أردّها إلى صاحبها .

بنيديك : عيناً لقد قالت حقاً إن تحقق ما تقول .

(١) في مزوعة أرناب يقوم كوخ صغير للحارس ، وهو بطبيعة الحال منزول بعيد من

الناس قائم .

دون بدر : إن السيدة بياتريس منك غضبي ؛ فإن السيد الذي راقصها
نبأها أنك أخطأت كثيراً في حقها .

بنيديك : لقد أساءت إلى "إساعة

لا يحتملها الصخر ،

ولو أن سرورة لم يبق عليها غير ورقة خضراء

لما أطاقت السكوت عليها .

إن قناعي نفسه لم يلبث أن دبّت فيه الحياة

فرد عليها وكال لها بكيها .

لقد قالت لي ، وهي لا تظن أنني أنا مراقصها :

« إنني مهذار الأمير » وإنني أبرد من لوح ثلج ،

ومضت ترميني بنكتة في إثر نكتة ببراعة لا يتصورها العقل ،

حتى لقد لبثت أمامها كأنني هدف لرمية جيش بأكله .

إن كلماتها كالخناجر وكل لفظة منها طعنة سنان ،

ولو كانت أنفاسها في مثل بشاعة كلماتها ،

لما توانت الحياة لأحد بقربها . بل لأصابت نجم القطب

الشمالى بعدواها .

ولست أرضى الزواج بها

حتى ولو أتيح لها كل ما أنعم به على آدم قبل الخطيئة^(١) .

(١) أي كل ما أنعم الله به على آدم من سمو ورفعة على جميع مخلوقاته الأخرى .

ولو أن هرقل مُنى بها لجعلته يقلب على الجمر سفودا ،
 بل لكسر عصاه ليجعل منها وقوداً^(١) .
 دعنا من الحديث عنها ،
 فإنك لواجدها ربة الجحيم « آتى » القديمة^(٢)
 فى زى حُسْن ، وليت الله
 يقيض لنا عالماً يبطل سحرها ، ويطرد عنا شرها^(٣) ،
 وما دامت هنا بيتنا ،
 فليس من شك فى أن المرء ليحيا فى
 الجحيم هادئاً راضياً كأنه فى الجنة ،

(١) إشارة إلى قصة هرقل وأومفال ، وهى أن هرقل فى نوبة جنون قتل صاحبه إيفيناس فأصيب بمرض جزاء له على جرمه ، ولم ينبج منه إلا ببيعه عبداً رقيقاً ليخدم أوفال ثلاث سنين فلم يلبث أن وقع فى هوى مولاته ولبس زى النساء وجعل يغزل الصوف كما يغزلن ويعمل عدة أعمال مهينة أخرى . فيشوى الطعام على السفود ويقلبه على الجمر وقد كسر عصاه التى كان معروفاً بها فى الصور التى رسمت له حتى تظل النار تحت السفود متأججة .

(٢) ابنة زيوس التى ورد فى الأساطير اليونانية أنها كانت تقود الآلهة الأخرى والرجال إلى القيام بأعمال تَمَّ عن طيش ، ثم تسوقهم إلى حتوفهم ، وهكذا تجعل الإثم ذاته يضع عقوبته فهى من هذه الواجهة ربة الانتقام . وقول المؤلف « فى شكل جديد » معناه أنها « آتى » الأخرى أو الجديدة التى ظهرت فى شكل حديث . وقد رأينا الشاعر يكثُر من إيراد اسمها خلال مختلف رواياته .

(٣) أى كما يفعل السحرة حين يطلقون البخور ويرددون كلمات غير مفهومة لطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المصابين بها .

ويرتكب الناس الخطيئة عامدين ،
 لأنهم يريدون الذهاب إلى جهنم ،
 فالشر والنكر والفوضى كلها تبع لها وحشم .
 دون بدرو : حذار — إنها قادمة

(يدخل كلوديو وبياتريس وهيرو وليوناتو)

بنيديك : ألا تأمرني يا مولاي بتأدية أية خدمة لك في أقصى الأرض ،
 أود لو أرسلت في
 أتفه مهمة تشير بها في الجهة المقابلة لهذه القارة ،
 بل إنى لراض أن ألتبس لسماحتك
 سواكاً من أبعد ركن في آسيا ،
 أو آتيك بمقياس قدم القس يوحنا^(١)
 أو شعرة من لحية الملك تشام^(٢)
 أو أتولى أية سفارة لك لدى الأقزام^(٣) ،

(١) برستر جون الذي ورد في الأساطير أنه ملك الهند أو أثيوبيا وقد سمي قساً لأنه آثر أن يدعى كذلك و يتخل عن لقب الملك وأقسم أن يتسمى بأول قس يلقا وكان هذا يدعى «جون» فاتتخله .

(٢) اسم ملك المنول واشتهر بلحيته فليل لحية تيمور شام .

(٣) قوم قيل في الأساطير إنهم قصار القامات يعيشون في الهند وجاء ذكرهم في شعر هوير وقال إنهم يعيشون على السواحل « أوشيانا » أى أوقيانوس .

فذلك عندي خير من التحدث بثلاث كلمات مع
هذا العقاب^(١) .

هل من خدمة أؤديها لك يا مولاي ؟

دون بدرو : لا شيء إلا رغبة الاستمتاع بمحضرِكَ .

بنيديك : رباه . يا سيدى . هذا طعام لا أسيغه ،

لأننى لا أطيق ذات اللسان^(٢) (يخرج)

دون بدرو : هلمى يا سيدتى . هلمى .

لقد خسرت قلب السنيور بنيديك .

بياتريس : لقد أعارنيه يا مولاي منذ هنية .

وأديت له الفائدة^(٣) ، قلين اثنين لقاء قلب واحد ،

يمينا لقد أحسنت فى قولك يا مولاي إننى خسرت .

فقد كسبه مرة من قبل بئرد مزيف^(٤)

دون بدرو : لقد صرعته يا سيدتى . . لقد صرعته .

(١) العقاب من جوارح الطير - ومن فصيلة النور . ولكنه فى الأساطير يوصف
بطائر كاسر له وجه امرأة .

(٢) ذات اللسان أى « السليطة » وفى الأصل « السيدة لسان » .

(٣) الفائدة مقابل تسليم قلبه بإعطائه قلبها .

(٤) تشير هذه العبارات ، على الأرجح ، إلى واقعة غرام قديمة بينهما كاد بنيديك
يخدع بياتريس كما يؤخذ من قولها إنه كسب مرة بئرد مزيف ولكن لا يبدو شيء من هذه الواقعة
فى المسرحية .

- بياتريس : ولهذا أود أن لا يفعل هذا بي يا مولاي
 مخافة أن أُعد أم الحمقى . .
 لقد جئت بالكونت كلوديو الذى أوفدتني للبحث عنه^(١)
 دون بدرو : كيف أنت يا كونت .
 وما بالى أراك حزينا ؟
 كلوديو : لست حزينا يا مولاي !
 دون بدرو : ما بالك إذن . . أمرىض ؟
 كلوديو : لا هذا ولا ذاك يا مولاي
 بياتريس : ليس الكونت بمحزون ، ولا هو بمريض ،
 ولا هو بمبهج ، ولا هو بمغفور العافية ،
 ولكنه حمض قليلا كالبرتقالة الأشبيلية^(٢) .
 وبه شىء من أعراض الغيرة وسماها .
 دون بدرو : يمينا أيتها السيدة إنى لأحسب إشارتك هذه صادقة .
 وإن كنت أقسم أنه واهم فى تقديره إن كان كذلك .
 اسمع يا كلوديو لقد خطبت باسمك ،

(١) لم يرد من قبل شىء يوحى بأن دون بدرو طلب إليها البحث عن كلوديو .

(٢) حمض - من الحموضة . ومن هنا وصفته « بالبرتقالة » والموايح فى المنام ندعى « الحمضيات » وقد أضفنا نحن إلى البرتقالة تولنا « الإشبيلية » لأن اللفظة Curل معناها بين الخلاوة والحموضة وكانوا فى عهد شكسبير ينطقون لفظة Sivilla أى مدينة « أنبلية » الأسبانية كأنها لفظة سيفيل .

- وفزت لك بالحسنة هير و ؛
وأفضيت بالنبأ إلى أبيها وظفرت برضاه .
فعين يوم القران وأدعو الله لك بالهناءة .
ليوناتو : خذ يا كونت منى ابنتى ، ومعها ثروتى ،
فإن قداسته خطب ،
والله جل جلاله أمن على خطبته .
بياتريس : تكلم يا كونت ، فهذه فرصتك^(١)
كلوديو : الصمت أكمل بشائر الفرح ،
ولو وصفت مقدار سعادتى ، لأنقصت منها ،
سيدتى ، أما وأنت لى ، فأنا لك ،
إنى لك واهب نفسى ، ومغتبط بهذا التبادل .
بياتريس : تكلمى يا ابنة العم ، وإن لم تقدرى ،
فأغلقى بقبلة فه ولا تدعيه هو الآخر يتكلم .
دون بدرو : يمينا أيتها السيدة لقد أوتيت قلباً مرحاً .
بياتريس : أجل . يا مولاي ، وإنى لهذا القلب الأحق لشاكرة ،
لأنه يأبى إلا أن يبقى أبداً فى مأمن من الهم ،
إن ابنة العم تقول له فى أذنه إنه يسكن فى قلبها .

(١) أو المفتاح - إشارة إلى أن الباب قد فتح ليتكلم ويعلم ما فى نفسه . ولكنه أجاب بقوله إن الصمت أكمل بشائر الفرح كما ترى .

- كلوديو : ولانها لتسكن قلبي يا ابنة العم .
 بياتريس : رب . ألا من زوج !^(١) .
 أفكل إنسان يدخل الدنيا ما خلاى . . .
 لقد لوحتنى الشمس^(٢)
 فليس لى إلا أن أجلس فى ركن أغنى
 واها . ألا من زوج !^(٣)
 دون بدرو : يا سيدتى بياتريس إن لك عندى زوجاً .
 بياتريس : إنى لأوثر أن يكون من ذرية أبيك ،
 أليس لقد استك أخ على غوارك ،
 لقد أنجب أبوك أحسن الأزواج ،
 لو أتيج لفتاة الظفر بأحدهم .
 دون بدرو : هل ترتضىنى يا سيدتى ؟
 بياتريس : كلا يا مولاي ما لم يكن لى
 بعمل آخر الأيام العمل^(٤) ،
 لأن قد استك أغلى من أن تلبس فى كل يوم .

(١) الكلمة فى الأصل « مخالفة » ولكن المعنى كما يبدو وصلة من طريق الزواج أو نسب ومباهرة .

(٢) المعنى الذى ترمى بياتريس إليه هو أنها قبيحة .

(٣) مطلع أغنية قديمة تدور حول طغاة البنات على الأزواج .

(٤) أى أنت للزينة فقط أيام الأسبوع ، وغيرك لليلة الأيام الباقية من الأسبوع .

- ولكننى أستمحك مغفرة فقد ولدت هكذا ،
أقول هزلاً ، ولا أقول شيئاً ذا معنى .
دون بدرو : إن أشد ما يؤلنى أن لا تتكلمى ،
فإن المرح أليق شىء بك ،
فأنت بلا نزاع مولودة فى ساعة سعد
بياتريس : كلا بلا ريب يا مولاي فقد كانت أمى تبكى ،
ولكن كان هناك نجم فى السماء يرقص ،
ومن تحته جاء مولدى ،
يا بنى العم ، متعكم الله بالسرور .
ليوناتو : يا ابنة الأخ ، هلا عنيت بالأشياء التى قلت لك عنها (١)
بياتريس : أستاذك يا عمى ، مولاي عن إذلك .
(تخرج)
- دون بدرو : يمين الحق أنها لسيدة خفيفة الروح
ليوناتو : ليس فيها يا مولاي غير قليل من العنصر السوداوى (٢)
فهى لا تكتئب إلا فى المنام ،

(١) أراد عمها إخراجها ليخلو له الحديث مع دون بدرو .

(٢) العنصر السوداوى هو الماء لأن الأحياء فى هذه الخليقة مركبة من أربعة عناصر وهى الهواء والتراب والنار والماء . وهى مقابلة للأخلاط الأربعة فى الجسم وهى الصفراء والبنفسجية والبغمة والسوداء ، ومن هنا كان الماء معناه السوداء .

- ولا أحسبها حتى فيه بمكتئبة
فقد سمعت ابنتي تقول :
إنها كثيراً ما حلمت بالبؤس ،
ثم استيقظت ضاحكة .
- دون بدرو : إنها لا تطيق أن تسمع أحداً يتحدث إليها عن الزواج .
ليونانو : بلى.. إنها لتستهزئ بكل خطابها وتردهم بذلك عن خطبتها .
دون بدرو : لو تزوجت بنيديك لكانت خير الزوجات !
ليونانو : سبحان الله يا مولاي . . . لو لبثنا زوجين أسبوعاً واحداً
لأدى بهما الحديث إلى الجنون .
- دون بدرو : متى تنتوى يا كونت كلوديو الذهاب إلى الكنيسة ؟
كلوديو : غداً يا مولاي . إن الزمن يمشي على عكاز ،
حتى يستكمل الحب مراسمه .
- ليونانو : لن يتم هذا قبل يوم الاثنين يا بني العزيز .
أى بعد أسبوع ،
وهي فترة وجيزة لإتمام كل ما في نفسي تحقيقه .
- دون بدرو : لا تهزز رأسك هكذا متبرماً بطول الوقت^(١) ،
ولكنني أؤكد لك يا كلوديو أن الوقت لن ينتضي علينا
ثقيلاً مضجراً ،

(١) في الأصل « بطول النفس » أو الفترة التي يملك فيها المرء أنفله لستر يح .

فسأتولى خلاله إنجاز عمل من الأعمال التي فرضت قديماً
على هرقل^(١)

وهو تأليف قلبي السنيور بنيديك والسيدة بياتريس ،
والوصول بهما إلى ذروة التعاطف والمودة المتبادلة .

وبودي لو يتحقق زواجهما ولست أشك في تحقيقه ،
إذا تيسر لثلاثتكم تقديم المعونة التي سأوجهكم إليها .

ليوناتو : أنا معك يا مولاي ولو كلفني ذلك السهر عشر ليال .

كلوديو : وأنا يا مولاي .

دون بدرو : وأنت أيضاً يا هيرو الرقيقة ؟

هيرو : سأبذل يا مولاي جهدي المتواضع ،

في معاونة ابنة عمي على الظفر بزواج صالح .

دون بدرو : ليس بنيديك بأقل الرجال صلاحية للزواج^(٢) ،

وليس الأمل فيه زوجاً أضعف الأمل ،

(١) وكانت هذه الأعمال اثني عشر وقد فرضها عليه « أرسيتوس » ونعني بها [١] قتل الأسد - [٢] قتل الحية المتعددة الرؤوس كلما قطعت لها رأساً نبت لها رأس - [٣] صيد الوعل - [٤] القضاء على الدب - [٥] تنظيف الإسطبلات - [٦] قتل العصافير التي تأكل اللحوم البشرية في بحيرة سترمفالييس - [٧] القبض على الثور الكريتي - [٨] ترويض خيول الملك ديوميديس إلخ . والمعنى أنه عمل شاق كبعض هذه الأعمال التي طلبت من هرقل .

(٢) في الأصل كلمة مركبة نافية معناها أكثر الناس قلة أمل في أن يكون الزواج صالحاً وهذا ما عبرنا عنه بالاتباع في العبارة التالية .

وهذا هو كل ما فى وسعى أن أمدحه به .
 إنه رجل عريق المحدث وأخو شجاعة مشهودة وأمانة مؤكدة ،
 وسأعلمك كيف تغرين ابنة عمك بحب بنيديك ،
 وأتولى أنا بعونكما الأمر من ناحية بنيديك نفسه ،
 رغم حاضر بديهته ، وسرعة تأثيره ،
 حتى يقع فى حب بياتريس ،
 ولو استطعنا ذلك ، لما عاد كيويبيد بعد اليوم نابلا^(١)
 بل سينقل مجده إلينا فنصبح نحن آلهة الحب وحدنا .
 هلموا بنا ندخل لأنبثكم بما عقدت النية عليه .
 (يخرجون)



المكان ذاته
 Bibliotheca Alexandrina
 Organization of the Alexandria Library

يدخل دون جون وبوراشيو

دون جون : الأمر كما قلت ، وسيقترن الكونت كلوديو بابنة ليوناتو .
 بوراشيو : أجل يا مولاي ، ولكننى قادر على أن أحول دونه .

(١) أى ستولى نحن ذلك وتنقل شهرته إلينا .

- دون جون : كال حائل . أو عائق ، أو عقبة أو مانع ،
شفاء لما أجده ، إني مريض من الموجدة عليه ،
فكل ما يعوق حبه يرضيني ،
نبشني كيف تستطيع أن تمنع الزواج ؟
بوراشيو : لا صراحة يا مولاي وجهاراً ، بل خفية وسراً .
بحيث لا يبدو مني غدر ، ولا تظهر خيانة .
دون جون : أرني كيف ، وأوجز .
بوراشيو : أحسبني قد نبأتك يا مولاي منذ عام مضى ،
عن مدى حظوقي عند مرجريت ، وصيفة هيرو .
دون جون : أذكر ذلك
بوراشيو : إني مستطيع في أية لحظة غير مناسبة ليلاً .
أن أجعلها تطل من نافذة مخدع مولاتها .
دون جون : وكيف تستطيع بهذه الفكرة أن تقضي على زواجه ؟
بوراشيو : إن فيها لسمّاً عليك أنت أن تركّبه^(١) ،
فاذهب إلى الأمير أخيك ،
وأبلغه أنه قد ثلم شرفه ،
وأساء إلى كرامته بترويج كلوديو الذائع الذكر ،
— واحرص كل الحرص على أن تعظم من شأنه —
-
- (١) في الأصل — تخلط أجزاءه بنسب صحيحة كفعل الصيدلي .

من امرأة دنسة كهيرو .

: وأى دليل على هذا أقدمه ؟

: حسبك منه أن تضلل به الأمير .

وتغيظ به كاوديو ، وتقضى على هير . وتقتل ليوناتو ،

فهل ترتقب شيئاً غير ذلك ؟

: لن أتردد فى أمر ما ،

إذا كان فيه شفاء موجدى عليهم .

: اذهب إذن فالتمس لى وقتاً مناسباً ،

بحرّ دون بدر و الكونت كلوديو إلى خلوة بك ،

ونبئهما بأنك تعرف أن هير تحبى .

وأظهر الغضب لأجلهما ،

غيرة منك على شرف أخيك الذى تولى الخطبة ،

وعلى سمعة صديقه الذى يوشك أن يخدع .

فى فتاة تساق إليه كأنها عذراء وما هى بعذراء .

وقل لهما إنك كشفت ذلك .

ولعلمهما سوف لا يصدقانه بغير دليل ،

فأضرب لهما أمثلة . وأعرض عنيهما بينات .

ونيس منها ما هو أرجح

من رؤيتى تحت نافذة مخدعهم .

دون جون

بوراشيو

دون جون

بوراشيو

وسماعك إياي وأنا أنادى مرجريت « هير و » ومرجريت
تناديني « كلوديو » .

واطلب إليهما أن يتحققا من ذلك بنفسيهما
في الليلة التي ستسبق الزفاف ،

لأننى فى الوقت ذاته سأدبر الأمر ،

حتى تغيب هير و عن المخدع فى تلك اللحظة ،

لكى تتراعى خيانتها كأنها الحقيقة التى لا ريب فيها ،

ويبدو ما تهيؤه الغيرة كأنه يقين ويفسد كل استعداد تم .

دون جون : إننى لمنفذ ذلك فعلاً مهما يكن له من سيئ العواقب ،

فأحسن بالمررتدبيره يكن جزاءك عنه ألف دوقية^(١)

بوراشيو : وتمسك أنت بالاتهام ولا تتناقص ،

وأما أنا فلن يخذلنى مكرى .

دون جون : إنى ذاهب من فورى لأعرف موعد القران .

(يخرجان)

(١) عملة من الذهب أو الفضة تختلف قيمتها وقد أوردتها شكسبير فى عدة روايات له ولم يجعلها شائعة فقط فى إيطاليا التى ضربت أصلاً فيها بل فى الدانمرك أيضاً كما جاء فى « هاملت »
« الليلة الثانية عشرة » التى وقعت حوادثها فى النمسا . بل فى آسيا الصغرى أيضاً كما فى مسرحية
« كوميديا الأخطاء » .

المنظر الثالث

في حديقة بيت ليوناتو

يدخل بنيديك

بنيديك : يا غلام !
الغلام : سيدى السنيور ؟
بنيديك : على نافذة غرفى تجد كتاباً ،
هاته لى هنا فى الحديقة .
الغلام : أنا هنا الآن يا سيدى .
بنيديك : أعرف ذلك ، ولكنى أريد
أن تذهب إلى هناك ثم تعود إلى هنا . (يخرج غلام)
إنى لنى عجب عايب ،
أن أرى رجلاً بدت له حماقة سواه ،
وبالغ سخفه ، فى الاستسلام للحب ،
وطالما ضحكك ساخراً من حمق الآخرين فيه .
كيف يستسلم هو له فيقيم من نفسه الحجة على حماقته ،
والدليل على استحقاقه لسخريته ،
ذلكم هو كلوديو ، فقد عرفته

لا يطرب إلا لقرع الطبول وصوت المزمار^(١) ،
 فإذا هو اليوم يؤثر عليهما سماع القربة والطنبور ،
 وعرفته يقطع عشرة أميال سيراً على قدميه ليرى لآمة^(٢) حسنة
 فإذا هو اليوم يقضى عشر ليال
 ساهراً يفكر في زى صدار جديد
 وكان فيما مضى الصريح الموجز ، يرمى إلى هدفه
 شأن الرجل الأمين ، وديدن الجندى
 فإذا هو يصحح الرجل المتعالم المتأنق^(٣) في حديثه
 الخافل القول بأغرب أصنافه ، كأن حديثه المائدة المليئة
 بأعجب ألوان الطعام وصحافه ،
 فهل أرجو أن أتحول هكذا وأتبدل ،
 وأشهد بعينى ما تشهده عيناه ؟ لا أدرى ! ولا أظن ،
 وأحسب الحب سيحيلنى قوقعة أو يردنى حيواناً ،

(١) أى فى الحرب وهو جندى ولكنه اليوم يفضل أن يسمع موسيقى القرب والطنابير ،
 أى ألحان الحب وموسيقاه .

(٢) الآمة هى الدرع وغيرها مما يلبس فى القتال ، ولكنه اليوم مولع بالتأنق وإظهار
 الرشاقة فعل أهل الصباية والهوى ، وهذا قس ما يلى عن طبعه وحديثه .

(٣) فى الأصل « أورتوجرافى » وبعض الرواة يحسبها أورتجراف أى المتشدد فى أصول
 الكلمات أو المدعى العلم بمتونها وتصريفها .

ولكنى أقسم أنه لن يجعلنى أبله مأفوناً ،
 قبل أن يتم له تحويلى كذلك .
 إن فى النساء الحسنة ، وأنا الخلى ،
 والعاقلة ولكنى لست أرضاها ،
 والفاضلة ، وقلبي من حبها خلاء ،
 فلن تظفر منى بالرضى بنت حواء ،
 حتى تجمع كل هذه الصفات ،
 وتتوافر لها كل هذه الخلال .
 لتكن ذات مال ، فهذا لا نزاع فيه ،
 وأخت حكمة ، وإلا لما رضىتها ،
 وفاضلة ، وإلا لما قبلت مساومة فيها ،
 وحسنة ، وإلا لما نظرت إليها ،
 ورقيقة ، وإلا لما دنت منى ،
 ونبيلة^(١) ، وإلا لما كنت حياها ملاكاً ،
 وحلوة الحديث صاحبة طرب بارعة ،

(١) أى صدفة أو سمكة أو أى حيوان والمعنى أن الحب لن يفعل به مثل ما فعل بكلوديو
 ٢- نبيلة هنا مؤنث « نبيل » وهو عملة تساوى ٦ شلنات و ٨ بنسات أى نحو نصف جنيه
 « وملاك » ليس اللفظ المفهوم لدينا ، ولكنه اسم عملة أخرى تساوى ١٠ شلنات والمعنى العام
 من كل هذه الأوصاف أن بنيدىك يصور المرأة المثالية التى يرضاها وأنه لن يؤدى فى سبيلها
 جنيهاً مقابل نصف جنيه ولا يقبل هذه المساومة .

شعرها كما صنعه الله . .
 ها . . ها هو ذا الأمير ، والسيد « الحب » ^(١) قادمان ،
 فلأختبي في الحميلة .
 (يختبي)

(يدخل دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

دون بدرو : تعال بنا ألا تستمع لهذه الموسيقى ؟
 كلوديو : بلى ، يا مولاي الكريم ، ما أسجى الليل !
 كأنما قد سكت عن عمد ، ليزيد اللحن حسناً وانسجاماً .
 دون بدرو : أرأيت أين اختبأ بنيديك
 كلوديو : ليكن يا مولاي ، أما والموسيقى قد انتهت ،
 فليأذن للشعلب الصغير بهذه التافهة ^(٢)

(يدخل بلتازار والموسيقى)

دون بدرو : هلم يا بلتازار أسمعنا هذه الأغنية مرة أخرى .
 بلتازار : أى مولاي الكريم ، لا تكلف صوتاً قبيحاً كصوتي ،
 أن يسىء إلى الطرب أكثر من مرة ^(٣) ؛
 دون بدرو : إن إنكار المرء لفضله ودعواه الجهل بأحسن ما فيه ،

(١) أى الحب - يعنى كلوديو وقد أولع شكسبير بتجسيم النعوت والمصادر كالسيدة لسان والسيدة إشاعة كما مر بك .

(٢) يقصد بالشعلب الصغير بنيديك .

(٣) الإساءة إلى الطرب - أى هذا الصوت القبيح الذى يسمى إلى سمعة الفن .

لهما دائماً خير برهان على عظم شأنه ، وجلال قدره ،

فغنّ ولا تدعني أكرر السؤال ، وأردد الخطبة (١)

بلتازار : سأغني ما دمت قد تحدثت عن الخطبة ،

فكم من خطيب شرع في خطبة فتاة

لا يحسبها خليقة به . ولكنه يمضي في تشبيهه ،

ويقسم أنه الصب المستهام .

دون بدرو : أناشدك أن تغني .

أو إن أبيت إلا المضي في المحاجة ،

فلتكن حججك أنغاماً .

بلتازار : ألق بالك إلى هذا قبل أن أنطلق بأنغامي ،

إذ ليس فيهن نغمة جديرة بالملاحظة .

دون بدرو : يا عجباً ، إن كلامه هذا « دندنة » في ذاتها ونغمات

فهو لا يكف عن ذكر الأنغام ولا يقول شيئاً .

(يبدأ بلتازار النغم)

بنيديك : يا لجلال النغم وسحر الأوتار ،

هذه روحه قد بدأت تفتن ،

أليس عجيباً أن تكون لأمعاء الضأن ،

(١) أي أخطب صوتك وأطلب إليك أن تغني ، وقد استخدم الخطبة في هذا التمييز

ليمهد الجواب التالي من المعنى .

القدرة على اجتذاب الأرواح من أعماق الأجسام (١)

* الأغنية *

بلتازار : أيتها الغيد اكفزي عن التأوه والتنهيد ،
فديدن الرجال ، الخداع والضلال ،
قدم لهم في البحر ، وقدم في البر ،
ولا نبات عندهم إلى آخر الدهر .
حسبكن تحسرا وتنهيدا ، واتركنهم وشأنهم ،
وابتغين لهوا ومرحاً واثنتين عن أناشيد الحزن ،
إلى أغاني الأفراح ، والطرب .
حسبكن ترنما بالأناشيد النكدة الثقيلة ،
كذلك كان غدر الرجال من الأزل ،
منذ خلق الصيف مورقاً وارف الظل ،
وإذن تحسرا . . . إلخ . . .

دون بدرو : يمين الحق إنها لأغنية حسنة .

بلتازار : والمغنى ردىء يا مولاي .

دون بدرو : كلا . كلا . . . يميناً إنك لتغنى

غناء حسناً ينتقل من نغمة إلى نغمة .

بنيديك : لو كان كلباً وعوى هذا العواء ، لشنقوه ،

(١) أمعاء الضأن هي الأوتار ، لأنها تصنع منها .

أرجو الله أن لا يكون صوته القبيح نذيراً بسوء ،
ووددت لو أنى سمعت الغراب الأسحم ،
وإن جاء بالطاعون في إثره يدّهم .

دون بدرو : أسمع يا بلتازار ؟

أرجوك أن تأتينا بموسيقى بديعة ،
لأننا نريدها مساء غد ،

تحت شرفة مخدع الحساء هير و ،

بلتازار : سأتى بخير ما أستطيع يا مولاي .

دون بدرو : افعل . . مع السلامة .

(يخرج بلتازار)

أقبل يا ليوناتو ، ما الذى نبأتنه اليوم .

أقلت إن ابنة أخيك بياتريس تحب السنيور بنيديك؟

كلودير : أى نعم . . لنتقدم بحذر . . إن الطائر جاثم مطمئن^(١) ،

ما كنت أحسب يوماً أن هذه السيدة ستحب أحداً .

ليوناتو : ولا أنا - وأعجب العجب

(١) هذا اصطلاح فى القنص - يشير به شكسبير إلى حصان خشبى يختبئ خلفه .
الصائد فيتحرك الحصان به على مهل لكى يدنو من القنصة وهى لا تشعر به . وقوله إن الطائر
مستقر - وفى الأصل إن الدجاجة جالسة - يريد به أن الصائد حين يدرك أن الطائر غير فرع
ولا يزال مطمئناً فى موضعه يروح يقول لنفسه هذه العبارة . والمفهوم أن بنيديك هو فى هذه
الاستعارة الطائر المطمئن وهم الذين يحاولون صيده .

- أن يشغفها السنيور بنيديك حباً ،
وهي تبدى له في الظاهر أشد المقت .
- بنيديك : أمكن هذا ؟ أتهب الريح من هذه الناحية ؟
ليوناتو : يمين الحق يا مولاي إني لفي حيرة ،
لا أدري كيف توليه هذا الحب الشديد .
إن هذا الأمر يتجاوز حدود المعقول .
- دون بدرو : لعلها تتظاهر .
كليوديو : محتمل ، جائز .
- ليوناتو : بالله ... تتظاهر ... ما أحسب في الدنيا عاطفة مزيفة
هي أدنى إلى العاطفة الصحيحة مما تبديه
- دون بدرو : وأي أعراض الحب هي كاشفة ؟
كليوديو : أصلح الطعم في الشص ، فإن هذه السمكة ستقضمه .
- ليوناتو : أتسألني عن الأعراض يا مولاي ؟ إنها سوف تدهشك ،
ألم تنبئك ابنتي كيف كان ذلك ؟
- كليوديو : لقد نبأتني حتماً .
- دون بدرو : كيف .. كيف .. أناشدكما ، فقد أدهشتماني ،
لقد كنت أظن أن عواطفها مستعصية على هجمات
الحب وطعناته .
- ليوناتو : لم أكن لأتردد يا مولاي في القسم بذلك ،

وبخاصة نحو بنيديك بالذات .

بنيديك

: كنت أحسبها خدعة ومكراً ،

لولا أن المحدث بهذا هو ذلك الشيخ الأشيب ،

والمكر لا يمكن أن يجتمع مع هذا الوقار الطاهر .

كلوديو

: لقد وقع الصيد في الفخ ، فلا تدعوه يفلت منه .

دون بدرو

: وهل كاشفت بنيديك بحبها ؟

ليوناتو

: كلا . وقد أقسمت أنها لن تفعل .

وهذه هي محنتها .

كلوديو

: حقاً إنها لكذلك . فقد حدثتني ابنتك. أنها قالت لها :

« أنا التي طالما سخرت منه حين لقيته ، أكتب إليه بأني

أحبه ؟ »

ليوناتو

: هذا هو ما تقوله الآن ،

حين بدأت تكتب إليه ، فهي تنهض عشرين مرة في الليل ،

فتكتب وهي في جليباها ، حتى تملأ صفحة كاملة ،

لقد حدثتنا ابنتي عن هذا كله .

كلوديو

: أما وقد ذكرت الصفحة « المليئة » ،

فلا أزال أذكر فكاهة مليحة قالتها لنا ابنتك .

ليوناتو

: آه ، حين فرغت من كتابتها ، وقرأت الصفحة التي

« ملأتها »

نخيل إليها أن بنيديك وبياتريس في الفراش فوق «ملاءتها»^(١)

كلوديو : هذه هي النكتة بالذات

ليوناتو : لقد مزقت الكتاب إرباً ؛

وسخرت من نفسها كيف لم تستح أن تكتب مثله ،
إلى رجل تعرف أنه سوف يستهزئ بها .

وانثنت تقول ، إنني أقيسه

« بما كنت أنا في مثل هذه الحال فاعلته »

فلو كتب إلى هكذا لسخرت منه ، وإن كنت أحبه .

كلوديو : ثم نخر راحة على ركبتيها ، باكية ، ناشجة .

تدق صدرها بكفها ، وتقتلع شعرها ،

وتضرع ، وتلعن ، وتنادى ،

أى بنيديك الجميل « اللهم ألهمنى الصبر » .

ليوناتو : هذا هو ما تفعله كما علمت من ابنتي ،

حتى لقد بلغ من فرط جنتها ،

وأثر النوبة العنيفة التي انتابتها ،

أن بدأت ابنتي تخشى

أن تلحق بنفسها أذى بليغاً في أثناء نكبتها وهذا صحيح . .

(١) لعب شكسبير هنا بكلمة « الصفحة » لأنها تحتل معنيين أولهما الصفحة التي تكتب والآخر غطاء السرير أو الملاءة ومعنى النكتة أنها تخيلتهما نائمين في فراش واحد .

- دون بدرو : يحسن أن يعرف بنيديك هذا الأمر بأية وسيلة أخرى ،
ما دامت تأبى أن تكاشفه به
- كلوديو : وما النتيجة ، فلسوف يتخذها هُزءاً ،
ويزيد في تعذيب المسكينة طغياناً وبغياً .
- دون بدرو : لو فعل . لكان من الخير أن نشنقه شنقاً .
إنها لفتاة حسناء حلوة . وفاضلة فوق كل شبهة .
- كلوديو : وحكيمة إلى أبعد حدود الحكمة .
- دون بدرو : هي كذلك إلا في شيء واحد ، وهو حب بنيديك .
- ليوناتو : إن الحكمة يا مولاي والعاطفة ،
تتنازعان وتضطرمان في هذا البدن الغض ،
ولدينا الأدلة المتوافرة على أن العاطفة هي المنتصرة .
ولإني لها لمحزون ، ولى العذر ،
لأنى عمها وولى أمرها .
- دون بدرو : ليتها وهبتنى أنا هذا الحب الجنونى ،
إذن لا طرحت كل اعتبار وجعلتها نصف نفس .
أرجوك أن تنبئ بنيديك وتعرف ما هو قائل .
- ليوناتو : هل تظن أن فى ذلك نفعاً ؟
- كلوديو : إن هيرو تظن أنها ستموت لا محالة ،

لأنها تقول إنها ستقضى إذا هو لم يحبها .
 وستموت قبل أن تعلن حبها ،
 وستفضل الموت إذا هو فاتحها
 على الإقلال من مألوف سخريتها منه .
 : تحسن صنعا . دون بدرو

لأنه من الجائز إذا هي عرضت عليه حبها أن يسخر منه ؛
 لأن الرجل كما تعلمون جميعاً ذو نفس هازئة ساخرة .
 : إنه مثال الرجل المستقيم الفاضل . كلوديو
 : إن له في الحق مظهراً جميلاً يستهوى النفوس . بدرو
 : وإني لأشهد أمام الله أنه لرجل كريم . كلوديو
 : إنه لتبدو عليه في الواقع مخايل الحكمة ، دون بدرو
 وتنبثق منه شرارة ذات بريق يشبه الذكاء .
 : وأنا أعدّه شجاعاً باسلاً . كلوديو

ليوناتو : أؤكد لك أنه في مثل شجاعة « هكتور »^(١) وبسالته ،
 أما في تدبير الاشتباكات والمشاجرات ؛

(١) أكبر الأبطال في حروب طروادة وكان زوجاً لأندرومك وفي هذه الحروب قتل
 بتر وكلاس صديق أخيل ، فحنق عليه ، وتقدم من أسوار طروادة ، فهرب القوم جميعاً وثبت
 هكتور بادئ الأمر ولكن الخوف استولى عليه ففر وتبعه أخيل حتى تمكن من قتله . وقد أُرْدِف
 شكسبير يصف لماذا شبه بنيديك به في تحاشي المارك أو الإقدام عليها .

- فلک أن تقول إنه الحكيم ،
لأنه إما أن يتحاشاها بفطنة بالغة ،
أو يتولاها بخشية أقرب ماتكون لها خشية المسيحيين المؤمنين .
ليوناتو : إذا كان حقاً يخشى الله .
- كان حتماً الوديع المسالم ،
أما إذا هو لم يجنح إلى السلم ،
فلا مفر له من الدخول في الشجار وجلا مرتجفاً .
دون بدرو : هذا هو ديدنه ، لأنه يخاف الله ،
وإن لم يبد ذلك عليه للنكات والأمازيح الجحافة التي يرسلها .
إننى ليحزننى حظ ابنة أخيك .
أنذهب لنبحث عن بنيديك لكى ننبئه بحبها .
- كلوديو : ينبغي أن لا تخبره بذلك يا مولاي ،
ولندعها تتغلب عليه بحسن تفكيرها .
- ليوناتو : كلا . هذا غير جائز . فقد ينهك الصبر عليه فؤادها أولاً .
دون بدرو : حسن ما قلت ، ولنسمع من ابنتك ما هى فاعلة بعد ،
ولندع الأمر في سبيله حتى يهدأ قليلا ،
إننى أحب بنيديك حقاً ،
وبودى لو يعود إلى نفسه فيبلوها ،
حتى يتبين إلى أى حد ،

هو غير خليق بسيدة طيبة مثلها .

ليوناتو : مولاي ، ألا نغضى ، إن العشاء قد أعد .

كلوديو : إذا هو لم يشغف بها حباً بعد هذا ،

فلن يصدق يوماً ظني .

دون بدرو : لنذع الشرك على هذا النحو منصوباً لها ،

وهذا هو ما نحن تاركوه لابتك ووصيفتها تدبرانه ،

وستكون التسلية الممتعة حين يعرف كل منهما شغف صاحبه ،

بودى لو أرى هذا المشهد ،

إنه سيكون تمثيلاً بالإشارات لا بالكلام .

دعونا نوفدها لتدعوه إلى العشاء .

(يخرج دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

بنيديك : (يتقدم من مخبئه) لا يمكن أن يكون هذا خدعة .

فقد كان الحديث جدّاً .

وقد عرفوا حقيقة الأمر من هير و ،

ويبدو لي أنهم على الفتاة مشفقون .

والظاهر أن حبها بلغ نهاية المدى . . .

إنها تحبني . . . يا لله !

لا معدى عن تبادل الحب والاستجابة له .

وقد سمعهم يلومونى وينتقدون مسلكى ،

ويقولون إننى سأروح المزهو المتكبر ،
إذا لمحت الحب من جانبها منبعثاً ،
ولقد قالوا أيضاً إنها لتؤثر الموت على إظهار حبها ،
ولكنى لم أفكر يوماً فى الزواج .
ولا ينبغى لى أن أبدو صلفاً متكبراً ،
إن السعداء من يسمعون معانيهم فيستطيعون إصلاحها ،
وهم قائلون إن السيدة حسناء ، وهذا صحيح ،
وإنى لشاهد لها بالحسن غير منكر ؛
وفاضلة ، وهذا حق لا أكذبه ؛
وأريبة عاقلة ، إلا فى حبي ،
ولكن يمين الحق إن حبها لى لا يزيد فى حكمتها ،
ولا يضيف شيئاً إلى فطنتها ،
ولا هو بحجة بالغة على حماقتها ؛
لأننى سأتناهى فى حبها ، وأمعن فى الكلف بها ،
ولعلى مستهدف لشيء من النكت وقليل من السخرية ،
لأننى كثيراً ما سخرت من الزواج واسترريته ،
ولكن ألا تتغير الشهوة إلى الطعام ، وتقبل أحياناً أو تنصرف .
فقد يحب الرجل أكل اللحم فى شبابه .

فإذا تقدمت به السن لم يعد يطيقه .
 فهل ترى هذه النكت والأمثال ،
 والفكاهات التي لا ضرر فيها ،
 صارفة المرء عن سبيله ، عادلة به عن رغبته وهوى نفسه .
 كلا . . يجب أن يعمر العالم بالناس ،
 وحين قلت إنني أؤثر أن « أموت » أعزب ،
 لم أكن أدري أنني « سأحيا » حتى أقترن . .
 هاهي ذي بياتريس قادمة . .
 وحق هذا النهار إنها لحسنة ،
 وإنني لألمح بعض إشارات الحب عليها .

(تدخل بياتريس)

بياتريس :	أوفدت على كره مني لأدعوك إلى العشاء .
بنيديك :	أشكرك أيتها الحسنة بياتريس على تجشمك هذا التعب .
بياتريس :	لم أتكبد في سبب شكرك لي تعباً ، أكثر من تكبدك أنت في شكري . ولو كان في مجيئي إليك تعب لما جئت .
بنيديك :	هل سرتك إذن الوفاة إلى ؟
بياتريس :	أجل ، كسرورك من تناولك مدية ووخز غراب بسنانها .. أألا رغبة لك في الطعام يا سنيور .. ؟ طاب يومك (تخرج)

: ها . . . ! « لقد أوفدت إليك على كره لأدعوك إلى الطعام » ،

إن هذا القول منها يحمل معنيين .
 ثم قولها لم أتكبد في سبب شكرك لي
 تعباً أكثر مما تتكبد به أنت لشكري ،
 يعني أن أي تعب أتكبد به في سبيلك لسهل هين كالشكر...
 وإذا أنا لم أشفق عليها ، كنت وغداً دنيئاً ،
 وإذا أنا لم أحبها كنت يهودياً . .
 فلاذهب لأظفر بصورتها .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

في حديقة ليوناتو

تدخل هير و مرجريت وأورسولا

هير : أسرعى يا مرجريت إلى الردهة ،
تجلى ابنة عمى بياتريس ،
تتحدث مع الأمير وكلوديو ، فاهمسى فى أذنها
أننى أنا وأورسولا نتمشى الساعة فى الحديقة ،
وإن حديثنا كله يلور حولها ،
وقولى إنك استرقت السمع علينا ،
واطلبى إليها أن تتسلل إلى الدغلة الظليلة المشدبة ،
حيث أنضجت الشمس أعواد العلندا ،
فمنعها من النفاذ فيها ، كمثل أهل الحظوة عند الأمراء ،
يتكبرون على السلطان الذى اصطنعهم ،
ويزهون على الصولة التى أنشأتهم ؛
ونبتئها أنه يحسن بها أن تختبئ عن كذب ،

لتنصت إلى حديثنا ، وتسمع علينا .

هذه هي مهمتك ، فأحسنى تأديتها ودعينا وحدنا .

مرجريت : أؤكد أنى سأتى بها فى الحال . (تخرج)

هيرو : والآن يا أورشولا اسمعى :

لنجعل حديثنا إذا جاءت بياتريس ،

ونحن نقطع هذا الدرب ذهاباً وجيئة ،

منصرفاً بجملته إلى الكلام على بنيديك .

فإذا ما ذكرت اسمه ،

فليكن قولك مديحاً فيه ، وثناء عليه ،

أطيب مما ظفر امرؤ يوماً بمثله ،

وسأحدثك أنا عن مدى صبايته بياتريس ، وفرط جواه ،

فكذلك نصطنع سهام كيوييد الصغير ونباله المصمية ،

تجرح بالسماع وتدمى بالرواية^(١) .

(تدخل بياتريس من خلفهما)

والآن فلنبداً الكلام فيها هي ذى بياتريس قادمة

تتسلل كالزقراق^(٢) ،

(١) أى أن الحب كثيراً ما يأتى بالسماع . كقول بشار : والأذن تعشق قبل العين أحياناً .

(٢) من عادة هذا الطائر أن يصرخ كلما طار ليبعد الصائد عن صغاره ، وهو يتوئب

وهنا تعليل جميل لطيرانه قريباً من الأرض كاستعارة لتسلل بياتريس .

يتوثب قريباً من الأرض ،
لكي تنصت إلى حديثنا .

: إن أكثر ما في الصيد من متعة ،

ورسولا

أن يشهد الصائد السمكة ،

تمرق بزعانفها الذهبية تحت أمواه الجلول الفضى ،

وتقبل منهومة على الطعم الغدّار لتأكله ،

وما مثلنا حيال بياتريس إلا كمثّل هذا الصائد المترقب ،

وهي الآن منزوية بين أعواد العلندا مختبئة ،

فلا تخشى من ناحية دورى في الحوار الذى سيجرى بيننا .

: لنقترب إذن منها ، حتى لا يفوت أذنّها شيء

هير

من هذا الطعم الخادع الحلوى الذى ندسه لها ،

(تقتربان من الدغلة)

كلا ، والله يا أورسولا ،

إنها لمفرطة في الترفع والكبرياء ،

وأعرف عنها شدة الحياء .

ولإنها لنافرة كالصقور البرية والرخم .

: ولكن أواثقة أنت أن بنيديك يحب بياتريس من كل قلبه ؟

أورسولا

: هكذا يقول الأمير وقرينى الجديده .

هير

: وما ، طلبا الملك يا مولاتى أن تنشأ به .

أورسولا

هيو : لقد ناشداني أن أكاشفها به ،

ولكني رجوتهما إن كانا يحبان بنيديك حقاً ،
أن ينصحا له بمغالبة حبه ،

فلا يدع بياتريس تعرف عنه شيئاً .

أورسولا : ولماذا فعلت ذلك . أليس هذا الرجل الكريم

خليقاً ببياتريس زوجاً وشريك فراش ؟

هيو : يا إله الحب ، إني لأعرف أنه خليق

بكل ما يجدر برجل أن يوهبه ،

ولكن الله لم يخلق قلباً أشد زهواً من قلب بياتريس .

إن الترفع والسخرية يتلألآن في عينيها ،

فتستصغران شأن كل ما تقعان عليه .

وهي تبالغ في تقدير قوة ذكائها

حتى ليبدو كل ما عداه ضعيفاً .

إنها لا يمكن أن تحب ،

ولا تطبق التفكير في الحب أو تصوره ،

إنها محبة لذاتها ، مفرطة في أثرها .

أورسولا : حقاً إني لأراها كذلك .

ولهذا يحسن بلا شك

ألا تعرف شيئاً عن حبه لئلا تعبت به .

هيو

: الحق ما قلت ، فما رأيت في حياتي رجلا ،
 حكما نبيلًا فتياً ، نادر الوسامة ، حلو القسمات ،
 إلا أساءت وصفه ، وعكست عليه مزاياه ،
 فإن كان أبيض الوجه ،
 أقسمت أنه كان خليقاً به أن يكون أختها .
 وإن كان أسمر قالت إن الطبيعة أرادت ،
 أن ترسم صورة مهرج مهذار .
 فسكبت قطرة من المداد فكان تلك القطرة .
 وإن كان طويلاً فهو الرمح الرديء الرأس .
 وإن كان قصيراً فهو عندها فص من عقيق ،
 لم يُستَقن قَطْعُهُ ولم يُهذَّب تركيبه .
 وإن كان متحدثاً ، فهو في نظرها دوارة تدور مع الرياح .
 وإن كان صموتاً ، فصخرة لا يحركها شيء ،
 وكذلك هي ،
 تُثَقِّلُ كل رجل إلى ضده ، وتحيله إلى نقيضه ،
 ولا تعطى الحق والفضل يوماً
 نصيبهما من البساطة والاستحقاق .

أورسولا

: حقاً . حقاً . إن هذا البحث عن المثالب ليس مستحباً .
 : إن كل شنوذ وخروج عن المألوف ،

هيو

كدأب بياتريس ، هيهات أن يُستَحَبَّ ،
 ولكن منذ الذي يجسر أن يقول هذا لها ؟
 فلو تكلمتُ ، لسخرت مني وهزأت ،
 بل لأضحكتني من نفسي ،
 وأثقلت كاهلي بعبء فكاهتها حتى أَلْفِظَ الأنفاس (١) ،
 فليبق بنيديك كالنار المغطاة ،
 وليحترق زفرات ، ولتذهب نفسه حسرات .
 فإن الموت على هذا النحو خير
 من الموت من وخزات الاستهزاء .
 وما أشبهه بالموت من الغمز والتخميش .
 أورسولا : ومع ذلك فلتتحدثي في هذا إليها ، ولتسمعي ما تقول .
 هيو : كلا . إنني لأؤثر أن أذهب إلى بنيديك ،
 وأنصح له أن يغالب صبابته ، ويصارع جواه .
 وفي الحق إنني سأخلق أكاذيب لا بأس منها
 لألصقها بابنة عمي ؛

(١) إشارة إلى عقوبة قديمة في القانون كان يحكم بها على الذين يرفضون الدفاع عن أنفسهم حيال التهم التي توجه إليهم . وهي وضع أثقال كبيرة على معدة السجين وصدرة وهو منبطح على ظهره . وكلما رفض الكلام زادوا الأثقال عدداً حتى يعترف أو يموت من تأثير الضغط سحماً وقد ألغيت هذه العقوبة في عام ١٧٧٢ .

فمن يدري كم من كلمة سواى سممت حباً ،
وأفسدت عاطفة .

أورسولا : لا تسيئي إلى ابنة عمك هكذا .
فما أحسبها متجردة من صحة الحكم والتقدير إلى هذا الحد ،
وهى الفطنة الحاضرة البديهة الذكية ،
والرضى بسيد مهذب نادر المثال كالسنيور بنيديك ،
أحجى وأولى من رفضه .

هيرو : إنه الرجل الأوحى فى إيطاليا ،
إذا استثنينا عزيزى كلوديو بطبيعة الحال .

أورسولا : أناشدك يا مولاتى أن لا تغضبى منى
إذا صارتك برأى . إن السنيور بنيديك
لأعظم الناس شهرة ،
بحسن الصورة والسمت ورجحان العقل والشجاعة ،
فى طول إيطاليا وعرضها .

هيرو : حقاً . إن له شهرة عظيمة واسعة .

أورسولا : لقد أكسبته شأئله هذه الشهرة قبل أن يراها

ومتى يتم قرانك يا مولاتى ؟

هيرو : كل يوم ، ما دام سيتم غدا^(١) . هلمى ندخل .

(١) أى ما دمت سأقترن غداً ، فسأكون زوجاً كل يوم بعد غد حين يأتى الغد .

لأريك بعض الثياب .

وأستنصحك أيها أحسن لتوافيني به غداً .

أورسولا

: لقد وقعت في دبق الفخ .

أؤكد لك يا مولاتي أننا قد أوقعناها في الشرك .

هيرو

: إذا صبح ما تقولين ،

صبح أيضاً أن الحب قد يأتي مصادفة واتفاقاً ،

وأن بعض الناس يصرعهم كيوييد بالسهام ،

وبعضهم يوقعهم في الفخاخ .

(تدخل هيرو وأورسولا)

بياتريس

: (تتقدم) ما هذه النار التي تحرق أذنى . . .

أحق هذا الذي سمعته (١) ،

أكذا أرى بالإفراط في الكبرياء ، والسخرية إلى هذا الحد ،

فالיום وداعاً أيتها السخرية ،

وعفاء عليك يا حياء « العذارى » ،

فلا حياة للمجد وراء ظهرك ،

ويا بنيديك امض في حبك فإني لمنصفتك ،

ومروضة قلبي النافر على لمس راحتك الحانية ،

(١) مثل قديم كان العامة يتمثلون به ، وهو قولهم إريك إذا أحسست بحكة في أذنك

فمعناه أن هناك إنساناً يتحدث عنك والعوام عندنا يظنون الفراق كذلك .

فإن كنت تحب فإن حنانى سيدفعك
إلى ربط حياتنا برباط مقدس ،
لأن الناس يقولون إنه بالحـب جـدير ،
وأنا أعرف به من القائلين .

المنظر الثانى

غرفة فى دار ليوناتو

يدخل دون بدرو وكلوديو وبنيدىك وليوناتو

- دون بدرو : لن أقيم هنا إلا ريثما يتم زواجك ثم أذهب إلى أرجون .
كلوديو : سأرافقك إليها يا مولاي ، إذا سمحت .
دون بدرو : كلا . لو فعلت لكان ذلك أشبه شىء ،
بلطخة فى صفحة زواجك الناصعة الجديدة ،
كمن يرى الطفل رداءه الحديد ثم يمنعه من ارتدائه ،
ولن أجرو إلا على اصطحاب بنيدىك لأنه من قمة رأسه
إلى أخمص قدميه ملىء مرحاً ، مفعم فكاهة ،
وقد قطع مرتين أو ثلاث مرات لكيوبيد وتر قوسه .

فلم يجرؤ هذا الجلال الصغير^(١) على إطلاق السهام عليه
وإن له لقلباً سليماً كالناقوس رنيناً ،
ولسانه هو مدقه^(٢) كلما خطر للقلب خاطر ،
كان لسانه عنه المعبر .

- بنيديك : سادتي البواسل ، لم أعد المرح الذي كنته .
ليوناتو : هذا ما قلته ، يلوح لي أنك مكتئب .
كلوديو : لعله عاشق .
دون بدرو : لا تعلق هذا الوهم به ، ولا يشرد بك الفكر فيه ،
فليس فيه نقطة صادقة من الدم يمكن أن يمسه الحب حقاً .
فإن كان مكتئباً فهو في حاجة إلى المال .
- بنيديك : بل هو وجع ضررس ،
دون بدرو : اقلعه .
بنيديك : ألا سحراً له .
كلوديو : أربطه بالخيط ثم اجذبه .
دون بدرو : لك الله ! أتزفر من وجع ضررس ؟
ليوناتو : حيث لا يوجد إلا بعض الصيديد أو السوس ،
بنيديك : في وسع كل إنسان أن يتغلب على الألم إلا من يعانيه .

(١) كذلك كان يوصف كيوييد إله العشق .

(٢) المدق هو مقبض الناقوس .

كلوديو : ولا زلت أقول إنه عاشق .

دون بدرو : لا أثر فيه لهوى ،

إلا أن يكون نزوعاً إلى غريب تنكر ،
كان يبدو اليوم هولندياً ، وغداً فرنسياً ،
أوفى زى رجلين من أمتين في آن واحد ،
كألماني مثلاً ، من الخاصرة فما دون سراويل فضفاضة ،
وكأسباني ، من العجز فما فوق ، بغير صدار ،
فإذا لم يكن له هذا الهوى الذي ينازعه إلى هذه الحماسة ،
— ويبدو أن له هذا الهوى —
فليس هو من الحُقم بحيث ينزع إلى الخيال ،
كما تريد أن تظنه كذلك .

كلوديو : إذا لم يكن قد وقع في حب امرأة ،

فلا خير إذن في تصديق الإمارات .

لقد راح ينفض بالفرشاة قبعته كل صباح ،
فماذا ترى ذلك منبئاً به ؟^١

دون بدرو : هل بصرَ به أحد عند الحلاق ؟

كلوديو : كلا . ولكن صبي الحلاق رُؤي عنده .

وأمسى ما كان حلية لحدّه ،

- حشوا للكرات التى يتقاذفها اللاعبون^(١) .
- ليونانو : حقاً . إنه ليلوح اليوم أصغر سنّاً ،
منه فيما مضى بعد زوال لحيته .
- دون بدرو : إنه ليتضمّخ بالمسك . . . ألم تعرفوه بطييه قبل أن يقترب ؟
- كلوديو : ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هذا الفتى الظريف البديع عاشق .
- دون بدرو : إن الكتابة أكبر سمات هذا الحب .
- كلوديو : ومتى رأيتموه قد اعتاد غسل وجهه ؟
- دون بدرو : أى نعم ، بل متى كان يترنّن ويتجمل ؟
- وهذا ما أسمع الناس يقولون عنه .
- كلوديو : ولكن روحه الماجنة قد تسلّلت الآن
إلى أوتار عود تتحكم فيه المفاتيح^(٢) .
- دون بدرو : الواقع أن فى هذا دليلاً قوياً ، نستنتج منه أنه يحب .
- كلوديو : نعم . وأنا أعرف من التى تحبه .
- دون بدرو : وأنا أيضاً أريد أن أعرفها . وأؤكد لك أنها فتاة تجهله .
- كلوديو : أجل ولا تدرى عن سوء حاله شيئاً . وإن كانت مع ذلك
تموت من فرط حبها لإياه .

(١) أى أصبح يخلق لحيته وهى حلقة الخد ، وأصبح الشعر المخلوق تحشى به الكرات .

(٢) استعارة من الموسيقى يشير فيها الشاعر إلى المفاتيح المقامة فى مقبض العود يعمد إليها الموسيقار فيحكم فنبطها حين يشاء لإصلاح الاوتار وضبط الأنغام . أى أصبح قليل التنكيت ولم يكن هذا شأنه من قبل .

دون بدرو : ستدفن وجهها إلى أعلى^(١) .
 بنيديك : وبعد فليس هذا « بَرْقِيَّة » من وجع الأسنان . .
 أيها الشيخ ، هلا انتحينا ناحية ؟
 فقد أعددت ثمانى كلمات أو تسعاً أريد أن أقولها لك ،
 حتى لا يسمعها هذان السخيفان .

(يخرج بنيديك وليوناتو)

دون بدرو : إنى لشديد الرغبة فى أن أنقل إليه حب بياتريس له .
 كلوديو : إن الأمر لكذلك ، وقد أدت هيرو ومرجريت^(٢) دورهما
 معها ،

ولهذا لن يعرض الدُّبَّان بعضهما بعضاً حين يلتقيان^(٣)
 (يدخل دون جون)

دون جون : سلمت يا مولاي وأخى .
 دون بدرو : نسَعِمْتُ مساءً يا أخى .
 دون جون : أريد أن أتحدث إليك إذا سمح بذلك وقتك .
 دون بدرو : حديثاً خاصاً . . . ؟
 دون جون : إذا تفصلت ، ولا بأس من أن يسمع الكونت كلوديو لأن

(١) هذه العبارة ليست واضحة لأن الموقى جميعاً يدفنون هكذا . ولكن شكسبير افترض أننا لا نعرف . وقال المفسرون إنه قد يقصد « وكعبها إلى أعلى » .

(٢) المقصود « أورسولا » لا مرجريت كما مر .

(٣) أى لن يهاجم أحدهما صاحبه عند التقائهما . والعرب تقول يتطاح فى الأمر عزان .

الكلام الذى سأقوله يعنيه .

- دون بدرو : ما خطبك ؟
- دون جون : (مخاطباً كلوديو) هل تنتوى يا مولاي القران غداً ؟
- دون بدرو : وأنت تعرف أنه ينتويه .
- دون جون : لا أعرف ذلك ، حين يعرف ما أنا عارف .
- كلوديو : إن كان ثمة حائل ، ناشدتك أن تكشف عنه .
- دون جون : لقد تحسب أننى لا أحبك ، فلندع هذا إلى ما بعد ،
وحاول أن تحسن الظن بما أنا الساعة كاشفه ،
أما أخى فهو يؤثرك ، وقد ساعد عطفاً منه ،
ولإعزازاً فى تحقيق قرانك الذى حان موعده واقترب ،
وما من شك فى أنه قد أخطأ فى هذه الوساطة ،
وبئس الجهد المبذول فيها .
- دون بدرو : ماذا تقول ، وما الخطب . . ؟
- دون جون : لقد جئت لكى أنبئك باختصار ،
لأن الحديث طويل ، أن هذه الفتاة غير وفية .
- كلوديو : من . . . هير و . . . ؟
- دون جون : نعم . هى . هير و ابنة ليوناتو ،
- هير و صاحبك ، وصاحبة كل رجل .
- كلوديو : أغير وفية هى ؟

دون جون : إن هذا اللفظ لأجمل من أن يصور مبلغ شرها ،

بل أستطيع أن أقول إنها أدهى من ذلك وأمر .

فهل عندك وصف أسوأ لكى أنعتها به؟

ولكن لا تعجب حتى يأتيك الدليل ،

وما عليك إلا أن تصاحبني الليلة فترى

رجلاً يدخل خدرها من النافذة .

فى هذه الليلة التى تسبق يوم زفافها ،

فإن كنت مع ذلك تحبها فابن غداً بها

ولكن من الخير لحفاظك وشرفك أن تعدل عنها .

كلوديو : أيمكن أن يكون هذا صحيحاً . ؟

دون بدرو : لا أظن .

دون جون : إن لم تستطع أن تصدق ما تراه بعينيك فلا تقر بما تعرف ،

وسأريك ما فيه الكفاية إن اتبعتنى ،

وبعد أن تبصر وتسمع أكثر مما أبصرت وسمعت ،

تصرف على ضوئه وافعل وفق مقتضاه .

كلوديو : إذا أنا رأيت شيئاً الليلة ، فلست بمقترب بها غداً ،

وفى الاجتماع الذى سيعقد ، سأخزيها وأكشف عن عارها .

دون بدرو : وسأشاركك فى كشف شنارها ،

ما دمت أنا الذى سعيت فى الظفر لك بها .

- دون جون : لن أنتقصها أكثر من هذا ، حتى تكونا شاهدين ،
 فاصبر إلى منتصف الليل ، ودع الأمور تجري في أعنتها .
 دون بدرو : يا له من يوم انقلب نحساً .
 كلوديو : يا لها من مصيبة تخلق الأنفاس .
 دون جون : ستقول حين ترى البقية
 يا له من شر مستطير عرفنا كيف نحول دونه قبل مداهمته .
 (يخرجون)

المنظر الثالث

طريق عام

يدخل دوجبري^(١) ، وفارجس^(٢) ، مع جمع من الحراس

- دوجبري : هل أنتم إخوان خير وصدق ؟
 فارجس : أجل ، وإلا كان مما يؤسف له أن حققت عليهم النعمة ،
 والعذاب بدنأً وروحاً^(٣)

(١) هذا الاسم مركب من كلمتين « دوج » أى كلب و « برى » أى توت وهو نبات كالعليق ينمو فوق السياج وأسوار الحدائق واللور .
 (٢) هذا الاسم تحريف لكلمة « فرجوس » أو فارجز اسم بخيل ومراب قديم وقد اختار الشاعر هذين الاسمين المضحكين ليتناسبا مع الحوار التالى .
 (٣) يريد النعمة .

- دوجبرى : نعم وهذا عقاب قليل عليهم ،
 إذا كانت لديهم ذرة من الوفاء ،
 وقد وقع الاختيار عليهم للسهر والرقابة طوعاً للأمير .
 فارجس : عين لهم يا جازنا دوجبرى العمل المطلوب منهم .
 دوجبرى : أولاً من الذى تظنه أبعد من أن يكون جديراً
 برتبة ضابط صف^(١) .
 الحارس ١ : هيو أوتكيك^(٢) يا سيدى أو جورج سيكول لأنهما يقرآن
 ويكتبان .
 دوجبرى : أقبل يا جازنا سيكول ، لقد أنعم الله عليك باسم حسن ،
 ان حُسن المظهر حبة القدر ،
 ولكن معرفة القراءة والكتابة تؤتيها الطبيعة .
 الحارس ٢ : وكلاهما يا معلم . . .
 دوجبرى : (مقاطعاً) لإنهما لك ،
 لقد كنت أعرف أن هذا سيكون جوابك ،
 أما عن حسن مظهرك يا سيد فاحمد الله ولا تفخر به ،
 وأما علمك بالقراءة والكتابة فلا تظهره
 إلا عندما لا تكون ،

(١) كونستابل .

(٢) أوتكيك مركب مزجى من « أ و ت » و « كيك » والأولى هو الدخن وكيك أى
 الفطير أما سيكول فهو أيضاً مركب من سى أى البحر وكول أى الفحم وأكبر الظن أنهما من
 الباعة أو التجار لأنهما يعرفان القراءة والكتابة .

ثمة حاجة إلى هذه المفخرة (١) ،
 إن رأى المجمع عليه هنا أنك أقل الناس
 عقلاً وجدارة (٢) لرياسة الحرس .
 فلتمسك أنت إذن بالمصباح (٣) فهذه هي مهمتك لتركب
 السافلة (٤) ،

وتأمر كل عابر بالوقوف باسم الأمير .

الحارس ٢ : وإذا لم يقف ؟

دوجبرى : لا تأبه به ودعه ينطلق ،

وناد فى الحال بقية الحرس ،

واحمد الله على أنك قد تخلصت من وغد أثم .

فارجس : إذا لم يقف حين يؤمر فهو ليس من رعايا الأمير .

دوجبرى : هذا صحيح ، ولا دخل للحراس بأحد غير رعاياه ،

وينبغى كذلك ألا تحدثوا فى الطرق ضجيجاً ،

لأن ثرثرة الحرس وحديثهم أكثر

مما يحتمله الإنسان ولا يطيقه (٥) .

(١) يريد حين يكون ثمة حاجة إلى هذه المقدرة .

(٢) يريد أنك أكثر الناس عقلاً وأجدرهم برئاسة الحرس .

(٣) الذى يمسك به الحارس .

(٤) يريد لترقب السافلة .

(٥) يريد ما لا يحتمله .

حارس : إذا لتؤثر النوم على الكلام ، ونحن أعرف الناس بما ينبغي للحراس وما لا ينبغي .

دوجبرى : مرحى . إنك لتقول قالة شيخ
مجرّب خبير هو أكثر الناس هدوءاً ،
فأنا لست أدري كيف يكون النوم ذنباً ، وإنما عليك أن
تحتسب حتى لا يسرق منك سلاحك^(١) .
والمطلوب منك أن تطوف بكل الحانات وتأمر السكارى
بالذهاب إلى الفراش .

حارس : وإذا هم أبوا .
دوجبرى : دعهم وشأنهم حتى يفقهوا ،
وإذا لم تجد منهم عندئذ جواباً أفضل مما أجابوا به أول مرة ،
فلك أن تقول إنهم ليسوا كما كنت تحسبهم من قبل .
حارس : حسن يا سيدى .

دوجبرى : وإذا لقيت لصاً أدركت بحكم وظيفتك
أنه ليس امراً شريفاً ،
لوكلما أقلت من التدخل فى شئون هذا الصنف من الناس ،
كان ذلك أسلم لشرفك .

حارس : وإذا عرفنا أنه لص أفلا نلقى القبض عليه ؟

(١) فى الأصل « البلطة » وهو السلاح الذى كان يحماه الشرطة فى تلك الأيام .

- دوجبرى : لك أن تفعل بحكم وظيفتك .
ولكنى أحسب أن من يلمس القار يلوث يديه ،
وأسلم سبيل لك إذا وقعت على سارق ،
أن تدعه يثبت لك من أى صنف من الناس هو
فيسترق الخطى ويفارقك .
- فارجس : لطالما قيل عنك أيها الزميل إنك رجل رفيق رحيم .
دوجبرى : فى الحق لست أَرْضَى أن أشق كلباً بإرادتى ،
وأنا أكثر^(١) من ذلك رغبة فى أن أفعل ذلك
برجل أوتى ذرة من الشرف .
- فارجس : إذا سمعت وليداً يصرخ فى الليل فادع المربية
واطلب إليها أن تسكته .
- حارس : وما العمل إذا كانت المربية نائمة فلا تسمعنا ؟
دوجبرى : إذن فانصرف بسلام ودع الوليد يوقظها بصراخه ،
لأن النعجة التى لا تسمع الحمل حين يرغبو ،
لن تستجيب للعجل حين ينحور .
- فارجس : هذا صحيح لا فريفة فيه .
دوجبرى : هذه هى كل المهمة ،
وأنت يا ضابط الصف ،

(١) يريد أقل من ذلك رغبة .

فلتعلم أنك تماثل (١) في شخصك الأمير -
فإن لقيته ليلاً فلك أن توقفه .

فارجس : يا الله ، هذا ما لا قبل لي به .

دوجبرى : إننى أراهن أى إنسان يعرف القوانين
بخمسة شلنات لقاء شلن واحد ،

إن له أن يوقفه ، إذا رضى الأمير الوقوف طواعية ،
لأنه ليس للحارس فى الواقع أن يسىء إلى أحد ،
ومن المساءة أن يوقف المرء أحداً رغم إرادته .

فارجس : قسماً . إن هذا هو الرأى الذى أراه .

دوجبرى : ها . ها . ها . والآن يا سادة طاب ليلكم ،

وإن طراً عليكم أمر ذو بال فادعونى ،

وأمركم شورى بينكم ، وعمتم مساء ، هلم بنا أيها الجار !
والآن أيها السادة لقد سمعنا الأوامر : حارس

فهللما بنا تقصد دكة الكنيسة إلى الساعة الثانية ،
ثم نذهب جميعاً إلى الفراش .

دوجبرى : كلمة أخرى أيها الجيران الأخيار .

أرجو إليكم أن ترقبوا باب دار السنيور ليوناتو ،
فإن العرس سيقام فيه غداً وستكثر فيه الحركة الليلة .

إلى اللقاء . وافتحوا أعينكم أناشدكم الله .

(يخرج دوجبرى وفارجس ويدخل بوراشيو وكونراد)

- بوراشيو : كونراد ! ألا تسمع ؟
 حارس : (فى ناحية) سكوتا . . . ولا تتحركوا !
 بوراشيو : كونراد ، إننى أناديك .
 كونراد : هأنذا يا رجل ، عند مرفقك .
 بوراشيو : وعشاء الرب^(١) لقد أحسست فيه حكة^(٢) فظننت أنها
 سيعقبها جرب .
 كونراد : سوف أحاسبك على هذا القول . . . والآن على بقصتك ..
 بوراشيو : اقرب ، ولنقف تحت هذه السقيفة لنحتمى من الرذاذ ،
 وسأحدثك بكل ما عندى فيعمل السكرارى إذا حلت الخمر
 عقدة ألسنتهم^(٣) .
 حارس : (فى ناحية) جناية أيها السادة تدانوا .
 بوراشيو : ألا فاعلم أننى ظفرت من دون جون بألف دوقية .
 كونراد : أيمكن أن يكون ثمة إثم يبتاع بهذا الثمن كله ؟

(١) قسم عند العامة ، والعشاء هنا هو العشاء الربانى عند المسيحيين .

(٢) من أمثال العامة ، أحس حكة فى كوعى يقال للتطير كما نطق نحن أن العين التى
 مختلج قد تمهد أو تنذر .

(٣) كما يفعل التمثل إذ ييوح بكل ما فى نفسه . والإشارة هنا إلى اسم بوراشيو - فهو
 مشتق من كلمة « بوراشا » فى الأسبانية ومعناها الزرق « و بوراشيو » معناها السكران .

- بوراشيو : أولى بك أن تسأل هل يمكن
أن يكون الإثم غنياً إلى هذا الحد ؟
لأنه حين يحتاج الأشرار الأغنياء إلى عون الأشرار الفقراء ،
يحق لهؤلاء أن يعينوا الثمن الذى يطلبون .
- كونراد : إننى لنى عجب من هذا .
- بوراشيو : إن هذا العجب منك ليدل على أنك لا تزال قليل التجربة ،
ولا أحسبك تجهل أن زى صدار أوقبة أو قباء أمر
لا يهم المرء ولا يعنيه .
- كونراد : نعم . . . إنه ملبس فحسب .
- بوراشيو : إننى أغنى الزى .
- كونراد : أى نعم . الزى هو الزى .
- بوراشيو : هراء ! إن هذا القول هو بمثابة قولك إن الأحمق هو
الأحمق .
- ولكن ألا ترى إلى أى حد يبلو الزى لصاً مشوهاً^(١)
- حارس : (فى ناحية) أعرف المشوه هذا ،
لقد كان لصاً لثماً خلال السنوات السبع الماضية ،
وإن كان يروح ويغلبو كأنه السيد المهذب
إننى أتذكر اسمه .

(١) أى قبيحاً ولم يعرف الحارس هذه الكلمة فظنه اسم علم لأحد السراق .

- بوراشيو : ألم تسمع صوت أحد ؟
- كونراد : كلا . إنه صوت الدوارة القائمة فوق سطح البيت .
- بوراشيو : قلت لك ألا ترى إلى أى حد يبدو الزى لصفاً مشوهاً ؟
- وكيف يستلب ألباب الشباب ، ويذهل إخوان الدم الحمار .
الذين تتراوح أسنانهم بين الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين ،
حتى ليجعلهم تارة يتراءون في ثياب جنود فرعون
في رسومهم القائمة ^(١) . وتارة أخرى في أردية كهنة
بعل ^(٢) .
- كما يبدو في الرسوم التي تزدان بها نوافذ المعابد ،
وحيث في زى هرقل الحليق كما هو مصور على أدُم الأسفار
القدرة التي أكلها العث .
- في سراويل فضفاضة تشبه في حجمها عصاه ^(٣) .
- كونراد : كل ذلك أراه . وأرى أيضاً كيف يبلى الزى من الثياب
أكثر مما يبليه الإنسان ^(٤) ،

(١) هي صورة وجدت على أستار من قماش تصور حياة سيدنا يوسف أو موسى عليه السلام . ومأخوذة من التوراة ويبدو فيها الجنود المصريون . وقد رأينا شكسبير يصف تلك الرسوم بأنها مدخنة أو علاها الصنّاج فأثرنا أن نعبر عنها بقولنا « القائمة » .

(٢) بعل البابليين وكان له كهنة .

(٣) إشارة إلى الصورة التي يبدو فيها هرقل حليقاً حين كان في خدمة أومفال يؤدي أعمال النساء . وهذه الصور مرسومة على أستار تناوطا البلى وأكلها العث .

(٤) أى أن الأزياء سرعان ما تتغير وكثيراً ما تلغى ثياباً قبل أوان البلى .

ولكن أأست أنت نفسك قد أذهلك الزى
كذلك وأطارلبك ، حتى خرجت من القصة
التي ستنبئني بها إلى حديث الزى ؟

بوراشيو : ليس الأمر كذلك . ولكن اعلم أننى الليلة قد أغريت
مرجريت وصيفة هيرو ،
وناشدتها باسم مولاتنا أن تطل على من شرفة مخدع سيدتها ،
وتقرئنى ألف تحية وسلام . ولكننى لم أحسن بداية الخبر .
وكان أولى بى أن أقص عليك أولاً
كيف شهد الأمير وكلوديو ومولاي من مكان قصي في الحديقة
هذا اللقاء المحبب بإيعاز دون جون وتأثيره
وحملهما على التردد في ذلك الموضع .

كونراد : وهل ظنوا أن مرجريت هى هيرو ؟

بوراشيو : اثنان منهما حسباهما كذلك . وهما الأمير وكلوديو .
ولكن مولاي الشيطان كان يعلم أنها مرجريت .
وهو الذى تمكن بأيمانه المغلظة من أن يستأثر بلبهما .
وأعانه الليل البهيم كذلك على التغرير بهما .
ولكن الفضل الأكبر يرجع إلى لؤى ومكرى .
لأنهما أكدا كل وشاية اصطنعها دون جون ،

حتى لقد انطلق كلوديو محتقاً مغيظاً ،
وأقسم أنه حين يلتقى بها غداه اليوم التالى
فى الموعد المضروب . ويقف بجانبها فى الكنيسة
سيكشف أمام الجمع الحاشد عارها .
ويعلن ما شهدته فى العشية بعينه :
ويردها إلى بيت أبيها غير ذات بعل .

- الحارس ١ : باسم الأمير آمرك أن تقف .
الحارس ٢ : ناد الرئيس . فقد كشفنا هنا أخطر خيانة عرفت فى الدولة
الحارس ١ : ومن بينهم واحد يدعى المشوه وأنا أعرفه .
إنه يرسل على جبينه طرة حب (١)
كونراد : يا سادة . . . يا سادة .
الحارس ٢ : وسنحملك على إحضار المشوه معك أوكد لك هذا .
كونراد : يا سادة .
الحارس ١ : لا تتكلم . إننا نأمرك أن تتركنا نستأقك معنا .
بوراشيو : أكبر ظنى أننا سنكون صيداً ثميناً
ما دام هؤلاء قد قبضوا علينا :

(١) آثرنا كلمة « طرة » للشعر على أية لفظة أخرى لأن عادة الظرفاء والمتأنقين فى عهد
شكسبير أن يتركوا خصلة من الشعر تندلى على جباههم أو فيا إلى آذانهم ، ولكن الحارس
الجاهل ومثله دوجرى ظنناها « قفلا » وفى ذلك يقول - كما سيأتى بعد - يضع مفتاحاً فى أذنه
و يعلق به قفلا .

كونراد : صيداً مريباً . هلموا . . . إننا ممتثلان لكما .
(يخرجون)

المنظر الرابع

في مخدع هير و

تدخل هير و مرجريت وأورسولا

هير : أيقظي يا أورسولا ابنة عمي يياتريس واطلبي إليها النهوض .
أورسولا : طاعة يا مولاتي .
هير : والحضور إلى هنا .
أورسولا : سمعاً .
(تخرج)

مرجريت : يمينا . إن المرط^(١) الآخر أحسن .
هير : كلا . . . أرجوك . سأرتدى هذا يا مرجريت .
مرجريت : يمين الحق إنه لا يعدله جمالا ، وأؤكد لك أن هذا هو
ما ستشغله ابنة عمك .

(١) المرط في العربية كساء من خبز يؤتزر به وتثقل المرأة به وهو هنا شبيه بالشوب المقصود .

- هيو : ابنة عمى بلهاء . وأنت مثلها . لن ألبس سواه .
- مرجريت : يروقني هذا المتزر إلى أبعد حد ،
لو كان الشعر أسمر قليلاً .
وأما الثوب ففي الحق آية .
- لقد رأيت ثوب دوقة ميلانو الذي أفاضوا في مديحه .
- هيو : آه . . . لقد قالوا إنه يفوق الوصف .
- مرجريت : يميناً إنه لا يعدو جلباباً للنوم إذا قيس بثوبك .
نعم لقد نسج من الذهب نَسْجاً .
وجعل مقدمه من الفضة . ورُصّع باللآلئ .
واه كُمان طويلان من الكتف إلى المعصم .
وأخريان فضفاضتان إلى المرفق .
وربطة مبهرجة بشفاف يضرب إلى الزرقه .
ولكن ثوبك من حيث رقة الطراز ، وجمال الزى وإبداعه ،
أفضل منه عشرة أمثال .
- هيو : أدعو الله أن يتمتع بارتدائه لأنى أحس ثقلاً شديداً يجم
على صدرى .
- مرجريت : لن يلبث أن يصبح « أثقل » تحت بدن رجل . . .
- هيو : تبتاً لك . . . ألا تستحين ؟ ؟
- مرجريت : مم يا مولاتى ، وأنا أقول قولاً شريفاً ،

أليس الزواج شرفاً حتى للمتسول ؟
 أو ليس سيدك أخا شرف بغير زواج ؟
 أحسبك تريدني مني أن أقول
 « مع احترامي العظيم لك ، زوجاً »
 إذا لم يفسد سوء التفكير صدق القول ،
 فيأني لا أسىء إلى أحد .
 وهل من بأس في قولي « سيصبح أثقل تحت بدن الزوج » ،
 لا أعتقد أن هناك بأساً ،
 ما دام المعنى المقصود بين المرء وزوجه ،
 وإلا كان خفيفاً لا ثقيل .
 فإذا لم تصدق فسلي مولاتي بياتريس فها هي ذى قادمة .

(تدخل بياتريس)

هيو :	عمى صباحاً يا ابنة العم .
بياتريس :	عِمت صباحاً يا هيو والحساء .
هيو :	ما بالك تتكلمين بنغمة مريضة ؟
بياتريس :	أظن أني لا أعرف ما عداها من النغمات .
مرجريت :	لنغن بسرعة أغنية « نور الحب » فهذه لا تتطلب صوتاً خفيضاً .
	ما دمنا وحدنا لا رجال معنا ، فغنها أنت ، وأرقص أنا .

- بياتريس : أغنية « نور الحب » بكعبيلك الخفيفتين ،
 إذا كان زوجك يملك مرابط خيل كافية ،
 فسوف ترين عندئذ أنه لن يفتقر إلى الأجران
 ولا يعوزه الولدان (١) !
- مرجريت : قول نـغـل ، ومنطق فاسد ، أركله ساخرة بكعبي .
- بياتريس : كادت الساعة تؤذن الخامسة يا ابنة العم . وحن أن
 تستعدي ،
- يمين الحق إننى جد مريضة . يا لله . . . ألا من . . .
- مرجريت : أتريدين صقراً ، أو صافناً ، أو صاحباً (٢) ؟
- بياتريس : الحرف الذى تبدأ به جميعاً وهو الصاد صداع .
- مرجريت : إذا لم تكونى قد غيرت رأيك
 فلن يجدى الملاحين الاستهداء بالكواكب (٣) .

(١) هنا تورية قاسية من طراز شكسبير . فهو يريد أن يقول إذا كان زوجك يملك
 مرابط خيل كثيرة ، أى القوى المقتدر ، فلن تعوزه الولدان - أى ستلدين له كثيراً منه ومز
 غيره والجناس هنا فى كلمة الأجران فهى فى اللغة barns أى مخازن للعلف وهى أيضاً jairn
 أى ذرية وولدان .

(٢) جاء شكسبير بثلاث كلمات تبدأ كلها بالهاء وقد راعينا هذا فلم نجد بدا من إيراد
 ثلاث تبدأ كلها بحرف الصاد : واحتفظنا بالمعنى ، فجعلناها صقراً و صافناً أى جواداً وصاحباً
 أى زوجاً . وردت بياتريس بكلمة مماثلة وهى بالهاء أيضاً .

(٣) فى الأصل إذا لم تنقلبى تركية ، أى عنيدة كما يوصف الأتراك ، فلا نفع فى حبك
 لبنيديك من تركه للظروف .

- بياتريس : لست أدري ماذا تريد هذه المغفلة .
- مرجريت : لا شيء ولكن الله يحقق لكل امرئ أمنيته .
- هيرو : لقد بعث الكونت إلى بهذا القفاز . إن له أرجاً ذكياً .
- بياتريس : إننى « ممتلئة » برداً يا ابنة العم ، فلا أشم شيئاً .
- مرجريت : بكر و « ممتلئة » ! نعم البرد الذى أخذته .
- بياتريس : سبحان الله . ومتى احترفت قول النكتة ؟
- مرجريت : منذ تركته أنت . ألا تليق فكاهتى بى إلى حد يثير الإعجاب ؟
- بياتريس : غير ظاهرة بالقدر الكافى لخير لك أن تضعيها فى طرطورك^(١) . يمين الحق إننى لموعوكة .
- مرجريت : خذى قليلاً من الكارديواس بنيدكتس^(٢) المقطر واشربيه . إنه الدواء الوحيد الذى يفيد هذه النزلات المفاجئة .
- هيرو : إنلك تخزينها بعلاج شائك^(٣) .
- بياتريس : بنيدكتس ! ولم بنيدكتس بالذات ؟
- إن لك فى وصفه معنى خفياً .
- مرجريت : معنى خفياً ! كلا ويمين الحق ، لست أقصد أى معنى خفى .

(١) كمادة المهرجين .

(٢) على سبيل النكتة فقد استعملت اسم دواء للزكام يتركب من كلمتين كارديواس نسبة إلى « كارد » وهو القلب . وبنيدكتس ، وهى تشبه اسم بنيديك .

(٣) تخزينها أى تشكيلها لأن الدواء الذى اقترحته عليها من النباتات ذات الأشواك أى حقه « غمزة » منها .

إنما أعني نبات المزار المقدس^(١) ليس إلا .
ولعلك تظنين أنني أظنك تحيين .
كلا ، ويمين العذراء ، لست مخفلة إلى حد
أنني أظن حقاً ما أسمع .
أو أسمع لما في إمكانى أن أظنه .
ولا يمكنني أن أظن وإن شئت ،
أن أستنفد كل خاطري فيما أظن -
إنك تحيين أو ستحيين أو يمكن أن تحيي .
ولكن أمر بنيديك مختلف فقد أصبح رجلاً
وكان من قبل يقسم أنه لن يتزوج أبداً .
فأضحى الآن على كره من قلبه :
يأكل طعامه غير مغمغم ولا متبرم :
ولست أدري متى تتغيرين أنت وتبدلين ،
ولكني أظنك تنظرين بعينيك كما يفعل غيرك من النساء .
بياتريس : أية سرعة هذه التي ينطلق بها لسانك ؟
مرجريت : ليست خبيثاً كاذباً .
(تعود أرسولا)

(١) هو النبات ذاته بوصف بأنه المقدس لأنه يستخدم في الأعراس .

أورسولا : مولاتي . ادخلي . فقد جاء الأمير والكونت والسنور
بنيديك ودون جون

وجميع سادات المدينة ووجهاتها ليصحبوك إلى الكنيسة .
هيرو : أعنني على ارتداء ثيابي يا ابنة العم العزيزة ،
ويا مرجريت المحبوبة ويا أورسولا الكريمة .
(يخرجون)

المنظر الخامس

حجرة أخرى في دار ليوناتو
يدخل ليوناتو ، ومعه دوجبري وفارجس

ليوناتو : ماذا تريد مني أيها الجار العزيز ؟
دوجبري : وحق العذراء يا سيدي . أريد أن أسر
إليك أمراً يحضك عن قرب (١) .
ليوناتو : قل وأوجز ناشدتك الله . فإنني كما ترى في شغل شاغل .
دوجبري : حقاً إنه لكذلك يا سيدي .

(١) جاء شكسبير على لسان هذا الجاهل بكلمات محرفة وأخرى معكوسة أو بعيدة عن
المعنى التي تحملها إبرازاً لمحاولته إظهار شيء من العلم والمعرفة ، فهو يريد بقوله يحضك عن قرب
« ينخصك » عن قرب ، أي وثيق الصلة بك .

- فارجس : نعم إنه لكذلك حقيقة يا سيدى .
- ليوناتو : وما هو يا صاحبيّ الكريمين ؟
- دوجبرى : إن السيد فارجس « يشط » قليلا في كلامه .
- إنه شيخ كبير يا سيدى .
- وليس كليل^(١) الذكاء ، كما أرجو له بعون الله .
- ولكنه والله صادق صريح كالجلدة التى بين حاجبيه^(٢)
- فارجس : أى نعم ، أحمد الله على أننى صادق ،
- لا أقل صدقا عن أى إنسان حى ،
- إذا كان شيخا كبيرا ، ولم يكن أصدق منى .
- دوجبرى : المفاضلات عطرة^(٣) فأوجز القول ياسد فارجس .
- ليوناتو : أيها الجاران . إنكما لثقيلان مملان .
- دوجبرى : قد يسرك هذا القول يا مولاي ،
- غير أننا رجلان مسكينان فى شرطة الدوق ،
- ولكن فى الحق أنى لو كنت مملا كالملك^(٤) ،
- لهان علىّ أن أنعم بهذا الملل كله على سيادتك .
- ليوناتو : بكل ملالتك علىّ أنا ؟ أهذا ما تقول ؟

(١) يريد حاد الذكاء .

(٢) الظاهر أن الجنة حين تثبت إدانتهم كانوا يُدْمَنون على الجلدة الى بين حواجبهم .

(٣) كلمة أخرى حرفها دوجبرى فى حرصه على التحذلق .

(٤) نسب الإملال والسماجة إلى الملوك ثم أنعم بهما على ليوناتو .

دوجرى : أى نعم . ولو كانت أكثر من قيمتها بألف جنيهه^(١)
 فقد سمعت عن سيادتك من الاستصرح^(٢) المستطاب
 يقلو ما سمعته عن أى رجل فى المدينة .

فارجس : وأنا كذلك .
 وإنى وإن لم أكن سوى رجل فقير لفرح بما سمعته .

ليوناتو : أتمنى أن أعرف ماذا تريدان أن تقولاه .
 فارجس : يميناً يا سيدى أن حراسنا قبضوا الليلة^(٣) على اثنين
 من أشد المجرمين فى مسينا .

خلا سيادتك^(٤)

دوجرى : إنه لشيخ كبير يا سيدى فلا تأخذه بما يقول . وفى المثل
 حين يُقبل العمر ، يدبر العقل^(٥)
 كان الله فى عوننا . ويا عجباً للدنيا وما فيها حقاً ،
 لقد أحسنت القول والله يا سيد فارجس ، الدنيا بخير^(٦) .

(١) يظهر أن ألف جنيه قد علقت فى ذهنه من التحقيق فهو يرددها هنا .

(٢) يريد من التواء . (٣) يقصد طبعاً الليلة الماضية .

(٤) يقصد « من غير مؤاخنة » كما يقول العامة هنا . ولكنه ظن أن هذه العبارة هى
 المناسبة . وإن كان معناها أن ليوناتو هو أكبر المجرمين فى البلد .

(٥) أصل المثل « الخمر » فحرفها عن اللام إلى الجيم فجاءت « العمر » والأصل مثل
 يضرب فى إظهار أثر الخمر فى الذهاب بعقل السكير .

(٦) فى الأصل على لسان هذا الجاهل « إنك رجل طيب » والمعنى الصحيح هو « الدنيا
 بخير كما خلقها الله » .

- وحين يركب اثنان حصاناً ،
 يتحتم أن يكون أحدهما رديفاً^(١) ،
 إنه والحق يقال رجل صادق يا سيدي ،
 كأى امرئ أكل خبزاً ،
 ولكن سبحانه الله إن الناس ليسوا سواسية
 للأسف أيها الجار الكريم .
- ليوناتو : حقاً أيها الجار إنه ليقصر عنك كثيراً .
 دوجبرى : إن الله هو واهب النعم .
 ليوناتو : لا بد لى من ترككما .
 دوجبرى : كلمة أخيرة يا سيدي . إن حراسنا يا سيدي قد أدركو^(٢)
 رجلين تحوم حولهما التشبيهاً^(٣) .
 وسنأتى بهما فى هذا الصباح للتحقيق أمام سيادتك .
- ليوناتو : توليا أنما التحقيق وارفعاه إلى .
 إننى فى عجلة شديدة الساعة كما تريان .
 دوجبرى : حسينا هذا^(٤) .

(١) أى أحدهما يتكلم والآخر يسكت .

(٢) يريد أمسكوا .

(٣) يريد الشبهات .

(٤) يريد حسينا هذا .

ليوناتو : تناولوا شيئاً من النبذ قبل أن تنصرفا . أستودعكما الله .
(يدخل رسول)

الرسول : مولاي . إن القوم ينتظرونك لزفاف كريمتك إلى زوجها .
ليوناتو : سأوافيهم . إننى مستعد .
(يخرج ليوناتو والرسول)

دوجبرى : اذهب أيها الزميل الكريم إلى فرانسييس سيكول
واطلب إليه أن يحضر قلماً ودواة إلى السجن
وستولى الآن التحقيق مع هذين الرجلين .
فارجس : علينا أن نسير فيه بحكمة .

دوجبرى : أؤكد لك أننا لن ندخر فيه نكتة^(١)
وسندهلها ونقطع عليهما كل سبيل
وكل ما عليك أن تحضر الكاتب القدير
ليدون تقريراً وعليك أن توافينى^(٢) إلى السجن .
(يخرجان)

(١) يريد حكمة .

(٢) نطق بها خطأ حتى جعلها تبدو بمعنى « الطرد » من الكنيسة أو الحرمان من المغفرة
يكان يقصد البيان المكتوب أو التقرير .

الفصل الرابع

المنظر الأول

في كنيسة

يدخل دون بدرو - دون جون - ليوناتو - القس فرانسيس
كلوديو - بنيديك - هيرو - بياتريس - والحاشية

- ليوناتو : أقبل أيها القس فرانسيس وأوجز ،
فلا تتجاوز الصيغة المألوفة في عقد القران .
واترك شرح واجبات الزوجين إلى ما بعد .
القس : هل جئت هنا يا مولاي لتتزوج هذه السيدة .
كلوديو : كلا
ليوناتو : ليقترن بها أيها القس . وقد جئت أنت لتزويجهما .
القس : هل جئت أيتها السيدة لتقترني لهذا الكونت .
هيرو : نعم .
القس : إذا كان أحدهما يعرف عائقاً خفياً يحول دون قرانكما
فإني أناشده بحق نفسه عليه أن يفضي به .
كلوديو : هل تعرفين شيئاً كهذا يا هيرو ؟
هيرو : كلا . يا مولاي .
القس : وهل تعرف أنت يا كونت ؟

- ليوناتو : أجتري فأرد عنه نافياً .
- كلوديو : كم من امرئ يجتري على أن يفعل ،
وكم من رجل يجوز له أن يفعل ،
وكم من أناس في كل يوم يفعلون .
وهم لا يعلمون أنهم يفعلون .
- بنيدك : ما هذه الألفاظ كلها ؟
- إن بعضها أشبه بعلامات الضحك .
- كقولك آه - ها . . هي !
- كلوديو : تنح قليلاً أيها القس . ودعني أسألك يا أبي^(١) .
- هل أنت واهي هذه العذراء ابنتك بنفس طائعة مختارة ؟
- ليوناتو : كما وهبنيها الله بمشيئته ورضاه .
- كلوديو : وماذا تسألني لقاءها ،
حتى يتكافأ وهذه الهبة النفيسة الغالية ؟
- دون بدرو : لا شيء إلا أن تردّها إليه .
- كلوديو : أيها الأمير العزيز ، إنك تعلمني نبل العرفان بالجميل .
- أي ليوناتو . خذها .
- ولا تعط صديقاً لك هذه البرتقالة العفنة .
- فليس عليها من شرف العذراء غير مظاهره .

(١) هو الرجل الذي كان مفروضاً أن يصبح « حميه » .

انظر إليها كيف يتورد محياها خجلا .
يا لله ! ما أقدر الخطيئة النكراء ،
على إخفاء ذاتها بميسم الصدق .
أليس هذا الحياء على الطهر والنقاء دليلا متواضعا ؟
وأنتم يا من تنظرون إليها
ألا تقسمون إنها لعذراء ،
حين ترون هذه المظاهر الخارجية ؟
ولكنها ليست كذلك .
لقد عرفت حرارة الفراش ودفئ المضجع ،
وليس تورد وجهها حياء ، بل استنكافاً من جرمها واستخذاء .

ليوناتو : ماذا تعني بهذا يا مولاي ؟

كلوديو : أعني أنني لن أتزوج .

ولن أربط روحى بامرأة آثمة ثبت الجرم عليها .

ليوناتو : إذا كنت يا مولاي العزيز بما لك من قوة الحجة

قد استطعت أن تتغلب على مقاومة شبابها

وهزمت عذرتها فإن

كلوديو : أعرف ماذا كنت قائلاً لو أنني عرفتها من قبل ونخبرتها .

ستقول إنها اعتنقتني بوصفى زوجها .

وفى هذا ما يخفف من إثم التعجل .

ليس الأمر كذلك ياليوناتو ،
 فما أغريتها يوماً بكلمة عوراء .
 بل رحت كأخ لأخته أبدى لها
 الإخلاص الحى والحب النقى .
 هير : وهل كنتُ يوماً غير ذلك نحوك ؟
 كلوديو : سحقا لك . أيها الرياء . لأكتبن عنك ^(١) ولأندد^(٢) بك .
 إنك لتظهرين شبيهة بديانا فى فلكها ^(٣)
 وفى مثل نقاء الزهرة فى كمها ،
 قبل أن تهب عليها الأنفاس .
 بل إنك لأحرّ دماً من فينوس ^(٣) .
 وأطغى بهيمة من تلك الحيوانات المرفهة ،
 التى تحتدم الشهوة فيها احتداماً .
 هير : هل مولاي سليم وهو يتكلم على هذا النحو
 البعيد من الصدق ؟

(١) هكذا فى الأصل ، ومعناها سأفضحك أو أندد بك .

(٢) إشارة إلى « ديانا » ربة العفاف وهى هنا تمثل القمر فى دورانه حول الأرض وهى فى أساطير الإغريق ابنة الإله زفس وشقيقة أبولو وهى عذراء يعبدها العذارى ويحرصن على عذرتهن حتى يتزوجن .

(٣) ابنة جوبيتر ، وقدرسمها الرسامون فى صورة من الحسن الباهر وهى أم كيوييد إله الحب ومن لوازمها العمامة والخطاف والريحانة والوردة والتفاحة .

ليوناتو : أيها الأمير الكريم . لماذا لا تتكلم ؟

دون بدرو : ماذا أقول ؟

لأنني أقف الآن مثلوم الكرامة ، وأنا الذي سعت
في ربط صديقي العزيز بامرأة لا شأن لها ولا قدر
: أأسمع حقاً . أم أنا في حلم .

ليوناتو

دون جون : إنك تسمع ، وأن ما تسمعه لحق

بنيديك : ليس هذا من مظاهر العرس

هيو : حقاً . . . رباه !

كلوديو : أي ليوناتو . أتراني في هذا المكان واقفاً ؟

وهل هذا هو الأمير وهل هذا أخوه ؟

وهل هذا وجه هيو . وهل هذه حقاً أعيننا ؟

ليوناتو : كل هذا صحيح . ولكن ماذا تعني يا مولاي ؟

كلوديو : دعني أوجه سؤالاً واحداً إلى ابنتك ،

وأمرها بحق سلطانك الأبدي الرفيق عليها

أن تجيب عنه صدقاً .

ليوناتو : آمرك وأنت ابنتي أن تفعل

هيو : رب . خذ بيدي . فقد أحيط بي .

بأي اسم تدعو هذا الاستجواب ؟

كلوديو : أريد أن أحملك على جواب صادق يكشف عن اسمك .

هيرو : أليس اسمى هير و ؟

فنذا الذى يستطيع أن يدنسه بمعاب صحيح .

كلوديو : ذلك ما تستطيعه هير و نفسها .

فهى التى تستطيع أن تمحو شرفها .

خبرنى من ذلك الذى كان يتحدث إليك ليلة أمس ؟

تحت نافذتك بين الثانية عشرة والواحدة ؟

إن كنت حقاً عذراء فأجيبى .

هيرو : لم أتحدث إلى أحد فى تلك الساعة يا مولاي .

دون بدرو : أنت إذن لست عذراء .

يا ليوناتو يحزننى أن أنبتك مقسماً بشرفى

وشرف أخى وشرف هذا الكونت الكليم المحزون

إننا رأيناها وسمعناها فى تلك الساعة من الليلة البارحة

تكلم وغداً مجرمًا من نافذة مخدعها .

وقد اعترف فعلاً شأن السافل المستهتر ،

باللقاءات الأثيمة التى جرت سرًا بينهما مئات المرات .

دون جون : العار . العار !

إن هذه اللقاءات لا تحصى يا مولاي ولا توصف ،

فليس فى اللغة من العبارات العفة ،

ما يكفى المرء من غير سوء أن يفوه بها .

إنني لأسف أيتها السيدة الحسنة ،
لهذا المسلك الأثيم الذي سلكته ،
كلوديو : أي هير و ، لقد كنت تروحين : سماً على مسمى ^(١)
لو أن نصف هذا الجمال الظاهر الذي أوتيته ،
أحيط بدوافع قلبك وخوالج فؤادك !
ولكن سعدت حالاً يا من جمعت
بين أشد الدنس ، وأبهى الحسن .
وداعاً أيها الدنس النقي ، وداعاً أيها النقاء الدنس ^(٢)
في وجهك سأغلق جميع أبواب الحب .
وعلى أجفاني سأعلق الريبة ،
حتى أرى كل جمال أذى وضراً ، فلن أفتن به يوماً
ليوناتو : ألا من خنجر هنا أغيبه في هذا الصدر ؟
(يغنى على هير و)
بياتريس : ما هذا يا ابنة العم ، ولماذا تخرين مغشياً عنيك ؟
دون جون : هلموا بنا إن الأمر قد وضح ،
فخفق أنفاسها خنقاً .
(يخرج دون بدرو ودون جون وكلوديو)

(١) هير و معناها « البطل » ومؤنثها البطللة أي كان منظر أن تكوني اسماً على مسمى .

(٢) من باب القلب كقولهم « كلام المنون ملوك الكلام » .

- بنيديك : ماذا بها . . . ؟
- بياتريس : أحسبها قد ماتت - الغوث يا عماء . . .
- هيرو ، هيرو . . . ! عماء . . . سنيور بنيديك
- أيها القس . . .
- ليوناتو : أيها القدر ، لا تنزع يدك الثقيلة الداهمة عنها .
- إن الموت خير ساتر لعارها ، وأحسن غطاء نثمناه لها .
- بياتريس : . . . هيرو ابنة العم ، ما الذى دهاك ؟ أفيق .
- القس : رَوِّحِي عنك يا سيدة ولا تراعى .
- ليوناتو : أتفيقين ؟
- القس : أجل ، ولم لا ؟ ؟
- ليوناتو : لم لا ؟ ؟ ألا ترى أن كل شيء فى الأرض ينادى بعارها ؟
- أتستطيع أن تنكر القصة التى طبعها العار على وجهها ؟
- لا تحيى يا هيرو ولا تفتحى عينيك .
- ولو كنت أظن أن الموت غير معاجلك ،
- وكان فى حسابى أن روحك أقوى من عارك ،
- لانتزعت بنفسى الحياة منك انتزاعاً ،
- عقب ما وجهه إليك من تأنيب .
- وا حزنى . ووا فجيعتى . وليس لى إلا ابنة واحدة ،
- أفأعيب على الطبيعة بخلها !

أواه . إن واحدة من طرازك لكثير ؟
لما رزقت واحدة ؟
ولماذا كنت على الدهر جميلة في عيني ؟
ولماذا لم يقدر لي رحمة وإحساناً ،
أن أكون السائل المتكفف عند بابي ؟
أنا الذي تلوث على هذا النحو عرضه !
وتلطنخ بالعار اسمه !
لقد كان في إمكاني أن أقول .
إنها ليست في شيء مني .
وإن إثمها جاء من صلب مجهول .
ولكنها ابنتي التي أحبيت وأعزرت .
ابنتي التي أشدت بها ونوّهت .
وفاخرت بها الناس وباهيت .
إنها مني بل أكثر .
حتى لقد ذهبت في الغلو بقدرها ،
أحسب نفسي ليست لنفسي .
وإنني لا أملك لذاتي بعدها شيئاً .
فإذا هي ، أواه ، إذا هي تردى في هوة من مداد ،
إذا أريد منه تطهيرها
لنفد البحر قبل أن تطهر منه .

ولما كفى ملح البحر لتطهير لحمها الملوث .

بنيديك

: سيدى . سيدى . صبراً .

بعض هذا الخنق . إننى ، ن فرط العجب
لا أدرى ماذا أقول .

بياتريس

: أواه . . . ونفسى التى بين جنبي

أن ابنة عمى ضحية إفك وإقتراء .

بنيديك

: هل كنت ليلة أمس يا سيدتى نائمة معها فى فراش واحد ؟

بياتريس

: كلا . . . فى الحق .

وإن كنت طيلة هذا العام أرقد معها

إلا الليلة الماضية فلم أفعل .

ليوناتو

: لقد حصحص الحق . . . إن هذا ليزيد الحجة قوة ،

وإن كانت من قبل قاء سيجت بقضبان من حديد ،

أفيكذب الأميران ، ويفترى عليها كلوديو ،

الذى أحبها الحب كله ،

وراح فى الحديث عن رجسها يغسله بالدموع .

ألا بعداً لها . . . دعوا الموت يحترمها .

القس

: استمع لى هوناً ما .

فقد اعتصمت بالصمت كل هذه اللحظة ،

وتركت المقادير تجرى فى أعنتها .

لقد لاحظت وأنا أقرب حركاتها وسكناتها ،
 أطيفاً من حياء تتوارد على وجهها ،
 وأخرى بريئات في مثل بياض وجوه الملائكة ،
 تغالب ذلك الحجل وتلاشيه ،
 ثم بدت في عينيها شعلة نار
 تحرق الإفاك الذي أقامه هذان الأميران
 على صدق عذرتها .
 فلتدعني مغفلاً ولا تثق بما قرأته .
 ولا تركز إلى ملاحظاتي
 التي طبعها التجارب بخاتمها مؤكدة
 صدق قراءتي . ومضمون حكمتي .
 لا تثق بكبر سني ومركزى . وقلسية معرفتي .
 إذا لم تكن هذه السيدة الحسنة بريئة من الإثم ،
 ولكنها ضحية خطأ أليم .

ليونانو : لا يمكن أن يكون الأمر كذلك أيها القس .
 ألا ترى أن الكفارة الوحيدة التي بقيت لها
 أنها لا تضيف إلى إثمها إثماً آخر ،
 وهو القسم زوراً . أنها لم تنكر .
 فلماذا تريد أنت أن تسر بالأعذار

ما بدا في صورته الحققة ؟

القس : سيدنى . أى رجل هذا الذى تُتهمين به ؟
هيو : يعرفه الذين اتهمونى . أما أنا فلا أعرف أحداً .

ولو عرفت عن أحد من الأحياء

أكثر مما يبيحه حياء العذارى ،

فلتناً الرحمة عن كل خطاياى .

أبت إن ثبت لك أنى تحدثت مع رجل

فى ساعة لا يسوغ فيها الحديث ،

أو أنى تبادللت ليلة أمس الكلام مع مخلوق .

فاًبراً منى وامقتنى ، وعذبنى حتى أموت .

القس : أحسب الأمراء قد وقعوا فى خطأ عجيب .

بنيدىك : إن منهم اثنين هما مثال النزاهة والشرف ،

فإن أخطأهما الصواب فى هذا الأمر وضل سبيل الحكمة ،

كان هذا الكيد من تدبير جون النغل

الذى دأبت نفسه على الشر .

ليوناتو : لست أدرى ، ولكن إذا كان الحق ما قالوا عنها

فسأقطعنها بيدي إرباً ،

أما إذا كانوا فيما تناولوا به شرفها ظالمين ؛

فوا لله لأحاسن أشدهم اعتداداً بنفسه وأكثرها كبرياء ،

إن الزمن لم يخفف بعد الدم الذى يجرى فى عروقي .
 وتقدم السن لم يستنفد منى حيلتى .
 ولا الأقدار أتلفت مواردى .
 ولا العيش المرسل على عواهنه أفقدنى أصحابى .
 لسوف يرون قوة البدن . وأصالة العقل ،
 حين يستيقظان فى رجل مثلى .
 ولسوف يشهدون مقدرة الموارد ، وخيرة الصحب والمناصرين .
 كيف تثار لى أشد الثأر من المتجنين والظالمين .
 : مهلاً ، ودع نصيحتى تهديك فى هذا الأمر سواء السبيل
 لقد انصرف الأمراء وهم يحسبون ابنتك
 قد ذهبت فى الهالكين ،
 فاحتجزها سرّاً عن الناس إلى حين ،
 وأعلن على الملأ أنها قد ماتت حقاً
 واصطنع عليها حداداً .
 وأقم على مقبرة عشيرتك رثاء لها يروح على مماتها شهيداً ،
 واحتفل بالدفن احتفال الأحياء بالموتى ،
 مراسم وطقوساً عداداً . . .

القس

ليوناتو

: وما أثر ذلك وما جدواه ؟

القس

: يميناً إن هذا سيحيل الوشاية ، إلى ندامة ،

إذا أتقنت الحيلة .
 وفي هذا التحول بعض الخير ،
 ولكن ليس هذا السبيل الغريب هو الذى أرمى إليه ،
 بل الذى أرجوه من وراء هذا الجهد الشاق
 أكبر من ذلك شأنًا ، وأبعد منه مدى .
 إن موتها فى اللحظة التى أهتمت فيها ، إذا أحكمتم إعلانه ،
 سيحمل السامعين على التفجع عليها ، والرثاء لها ،
 واستماعة المعاذير عنها .
 فقد جُبل الناس على أن ما نملكه لا نعرف قيمته ،
 ما دمنا ننعم بمتعته .
 فإذا انتزع منا وفقدناه ، عرفنا له يومئذ قدره ،
 وبدا لنا فضله وخطره .
 وكنا من قبل وهو فى أيدينا بقيمته جاهلين .
 وسيكون هذا حال كلوديو ،
 حين يسمع بأنها ماتت من أثر أقواله ،
 فلا تلبث صورتها قبل الممات أن تتسلل برفق إلى خياله ،
 وإذا تبدوله كل معالم جمالها فى الحياة
 فى صورة أجمل وأعلى مظهرًا ،
 وتمثل لعين نفسه وخاطره ،

أفتن وأرق أثراً مما كانت وهى فى عالم الحياة ،
وعندئذ سيحزن عليها إن كان للحب مكان فى جوانحه ،
ويتمنى لو أنه لم يتهمها بمثل ما اتهمها به .
وإن اعتقد أن الاتهام كان حقاً ، فافعل^(١) كما أشرت ،
ولا تشك فى أن ما سوف يحدث بعدئذ ،
سيشكل النتيجة خيراً مما أستطيع أن أصورها أنا .
أما إذا أخطأنا التوفيق فى كل ما عدا هذا ،
فإن تصور ميتهما ، سىروى ظمأ العجب من سوء فعلتها .
فإذا لم تأت النتيجة كما نتمنى ،
فلك أن تخفيها فى معزل أو متبتل^(١) تضمده فيه جرح سمعتها ،
بعيداً عن الأعين والألسنة والأذهان ومساءة المسيئين .

بنيديك : خذ يا سنيور ليوناتو بنصيحة القس ،
وإنك لتعلم خبيثة نفسى وحبى للأمير وكلوديو .
ولكنى أقسم بشرفى أنى معالج هذا الأمر
سراً وعدلاً كما تعامل روحك جسديك .
ليوناتو : لقد هدنى الأسى هدأ ، حتى ليقودنى الطفل الصغير .
القس : اتفقنا - فلننصرف فى الحال ،
ومن يطلب لغرائب القروح شفاء ،

(١) أى دير .

فليلتمس لها جهد الطاقة الدواء .

وأنت يا سيدتى هلمى ، اطلبى الموت توهبى الحياة ،
ومن يدرى ، فلعل هذا العرس مرجأ إلى حين ،
فاصبرا وتجلدا^(١)

(يخرج الجميع إلا بنيديك وبياتريس)

- بنيديك : أى بياتريس — هل كنت تبكين كل هذه الفترة ؟
بياتريس : أجل وسيطول بكأى
بنيديك : لا أريد ذلك .
بياتريس : ليس لك حق . إننى أفعل ذلك باختيارى .
بنيديك : أعتقد، يقيناً أن ابنة عمك الحسنة مظلومة .
بياتريس : كم يستحق عندى الرجل الذى يستطيع أن ينصفها .
بنيديك : هل من سبيل إلى إظهار هذه الصداقة ؟
بياتريس : السبيل جلية واضحة ، ولكن أين الصديق ؟
بنيديك : هل يستطيع رجل أن يتولا ه ؟
بياتريس : إنه عمل رجال ، ولكنه ليس عمالك .
بنيديك : لست أحب فى هذا العالم شيئاً قدر حبى لك ،
بياتريس : أليس هذا غريباً ؟

(١) هذا القس يشبه زميله فى رواية « روميو وجولييت » فقد أعطى هذا جولييت دواء يحدث غيبوبة إلى حين ريثما يعود إلى القبر فيوقفها منه ولكنه جاء بعد مصرع حبيبها . وفى هذه الرواية شيء كثير يكاد يشبه ما فى الرواية الأخرى التى كتبها شكسبير قبل هذه بقليل .

- بياتريس : غرابة الشيء الذى لا أعرفه^(١) . لقد كان فى مقدورى أن أقول إننى لا أحب شيئاً قدر حبى لك - ولكن لا تصدقنى وإن كنت لا أكذب ، ولست أعترف بشيء ، ولا أنكر شيئاً إننى فى أسف على ابنة عمى .
- بنيديك : أقسم بسيفى يا بياتريس إنك تحبيننى .
- بياتريس : لا تقسم به ، بل ابلعه .
- بنيديك : أقسم به إنك تحبيننى ، وأدفعه فى حلق من يقول إننى لا أحبك .
- بياتريس : أو لن تبتلع كلامك ؟
- بنيديك : لم يصطنع بعد المرق الذى يطبخ به ، إننى أقر أنى أحبك
- بياتريس : إذن ليغفر لى الله !
- بنيديك : أى ذنب جنيته أيتها الحسنة بياتريس ليغفره ؟
- بياتريس : لقد أخرتني لحظات هنية ، فقد كدت أقر أنى أحبك
- بنيديك : أقرى به من كل قلبك .
- بياتريس : أحبك حباً ملك على كل قلبى .
- فلم يترك منه شيئاً ليقره .
- بنيديك : مرينى أفعلى شيئاً من أجلك .
- بياتريس : أقتل كلوديو .

(١) تعنى حبها له .

- بنيديك : ها ! هذا محال . ولو أعطيت العالم كله .
- بياتريس : إنك برفض سؤالى تقتلنى . . . وداعاً !
- بنيديك : مهلاً . . . بياتريس الحلوة
- بياتريس : لقد ذهبت ، وإن كنت هنا .
- ليس فى فؤادك حب لى . . . أناشدك دعنى أذهب .
- بنيديك : بياتريس !
- بياتريس : يميناً لأذهبن عنك .
- بنيديك : لنكن صديقين أولاً .
- بياتريس : أأيسر لك أن تكون لى صديقاً
- من أن تقاتل من أجل عدو لى ؟
- بنيديك : وهل كلوديو عدوك ؟
- بياتريس : ألم يثبت أنه أوغد الأوغاد ؟
- أن قذف ابنة عمى وازدراها
- وولغ فى عرضها ،
- ليتنى كنت رجلاً !
- يا للنكر ! أكذلك يأخذ بيدها إلى
- الموضع الذى سيطلب فيه يدها ؟ !
- وعندئذ يوجه علانية التهمة إليها .
- يا للفضيحة السافرة ! ويا للحقد الشديد . . .
- رباه . لو أنى كنت رجلاً .

لأكلت قلبه على الملاء أكلاً .

بنيديك : استمعي إلىّ يا بياتريس .

بياتريس : تتحدث إلى رجل من النافذة ! ما شاء الله ! قول صادق^(١)

بنيديك : ولكن يا بياتريس . . .

بياتريس : واهاً لهيرو الحسنة . لقد ظلّمت

وافترى عليها وهدمت هدماً .

بنيديك : بياتريس . . .

بياتريس : أمراء وأشراف . ومن ذا يجادل في شهادة أمير ،

ويدحض قول كونت ؟ كونت حلاوة^(٢) ؟

رجل حلو ، شهم حقاً ... أواه ... لو كنت رجلاً من أجله

أو كان لي في الصحاب من يكون رجلاً من أجلى ،

ولكن الرجولة قد استحالت انحناءات ،

وانقلب الرجال ألسنة ، لا تقول إلا متلطفة .

وانقلبت الشجاعة ملقاً ، وزخرفاً ،

واستحال الناس ألسنة ، وألسنة مزخرفة .

(١) تردد التهمة متهمكة ساخرة .

(٢) تقول هذا سخرية وكل ما تقواه الآن عنه سخرية لازعة ولهذا أردفت في وصفه

التهمى قولها « رجل حلو » حقاً .

- وأمسى الشجاع فى مثل شجاعة
 هرقل من يكذب ، ويحلف إنه لصادق .
 وهيئات أن أكون رجلاً بمجرد أمنية ،
 فلأمت إذن امرأة ذاهبة النفس حسرة وبكاء . . .
- بنيدىك : بياتريس . مهلاً . أقسم بهذه اليد التى أمدتها لى أحبك !
 بياتريس : استخدمها من أجل حى فى شىء آخر غير الحلف بها .
 بنيدىك : هل تعتقدين فى أعماق نفسك أن الكونت
 كلوديو قد ظلم هير و ؟
- بياتريس : نعم . لى لى يقين بهذا كيقينى بنفسى التى بين جنبى .
 بنيدىك : حسبى هذا مبرراً . . . لك إذن عهدى ، ولى لمبارزه ،
 دعينى ألثم راحتك ثم أنصرف .
 وحق هذه اليد^(١) لأحاسب كلوديو حساباً عسيراً .
 وليكن ظنك فى قائماً على ما تسمعينه عنى .
 اذهبي لتواسى ابنة عمك ،
 لا بد لى أن أقول إنها قد ماتت . والآن . وداعاً . . .
 (يخرجان)

 (١) يدها هى .

المنظر الثاني

السجن

يدخل دوجبرى وفارجس والكاتب^(١) وهم فى أرديتهم .
والحرس ومعهم كونراد وبوراشيو

- دوجبرى : هل اكتمل عقد شتاتنا
فارجس : مقعداً ووسادة لحضرة الكاتب .
الكاتب : ومن الجناة ؟
دوجبرى : أقسم إنهما أنا وزميلي هذا
فارجس : هذا مؤكد ... نحن الذين أذن لنا أن نتولى الاستجواب .
الكاتب : ولكنى أسأل من الجناة الذين يراد استجوابهم .
أحضر وهم أمام حضرة الضابط .
دوجبرى : نعم أحضر وهم أمامى . ما اسمك يا صاح .
بوراشيو : بوراشيو .
دوجبرى : اكتب من فضلك اسمه — بوراشيو . وأنت يا مولاي ؟
كونراد : أنا سيد يا حضرة . . . واسمى كونراد .

(١) دعونه الكاتب ولكنه فى الأصل « القندلفت » أو المنوط بالقناديل .

دوجبرى : اكتب - الرئيس السيد كونراد .
اسمع أنت وصاحبك هل تخدمان الله ؟

كونراد } (مأ) نرجو ذلك يا سيدى
بوراشيو }

دوجبرى : اكتب . إنهما يرجوان أن يكونا فى خدمة الله .

وابدأ بالله أولاً . ومعاذ الله يتقدم عليه هذان الشقيان .
يا أيها السيدان . لقد ثبت فعلاً أنكما لافرق بينكما
وبين الأوغاد الخائنين -

وهذا ما سيظهر عاجلاً ، فما أقوالكما ؟

كونراد : أقوالنا يا سيدى أننا لسنا كما وصفت

دوجبرى : ألا ما أعجب ذكاءك سأعرف كيف أحيط به .
تعال هنا أيها الإنسان أسرّ إليك كلمة ؛ لقد قلت إنكما
وسدان خائنان .

بوراشيو : وأنا أقول لك إننا لسنا كذلك .

دوجبرى : إذن ... قف فى ناحية . والله إنهما لمتفقان على كلام
واحد يقولانه . هل كتبت عندك أنهما ليسا كذلك .

الكاتب : ليست هذه هى طريقة التحقيق .

إن عليك أن تحضر الحراس الذين اتهموهما .

دوجبرى : أى والله . هذه أيسر طريقة . أحضروا الحرس فى الحال .

أيها الحرس أطلب إليكم باسم الأمير
أن توجهوا الاتهام إلى هذين الرجلين .

الحارس ١ : إن هذا الرجل يا سيدى قال

إن دون جون أخا الأمير . وغد أقيم .

دوجبرى : اكتب أن الأمير جون وغد أقيم .

هذه وحدها خيانة صريحة . أفتصف أخا الأمير بالوغد .

بوراشيو : يا حضرة الضابط . . .

دوجبرى : أرجوك يا حضرة . . . أن تسكت

وأؤكد لك أن نظراتك لا تعجبني .

الكاتب : وماذا سمعته يقول أيضاً .

الحارس ٢ : سمعته والله يقول إنه أخذ ألف دوقية من دون جون

لاتهام السيدة هير و ظلماً .

دوجبرى : مؤامرة صريحة ما بعدها مؤامرة .

فارجس : وحق عشاء الرب إنها لكذلك .

الكاتب : وماذا أيضاً ؟

الحارس : وأن الكونت كلوديو أقسم بشرفه أنه سيشهر بهيرو

أمام الجمع كله ، وأنه لن يرتضيها زوجاً له .

دوجبرى : يا للشقى . سيحكم عليك بعقاب مؤبد نظير هذا القول .

- الكاتب : اوماذا أيضاً ؟
- الحارس : هذا هو كل شيء .
- الكاتب : وهو أيها السيدان أكثر مما تستطيعان إنكاره ،
- فإن الأمير جون غادر البلد خفية في صباح اليوم .
- واتهمت ميرو فعلاً على هذا النحو ،
- ورفض القران بها ، على هذه الصورة ،
- فعاجلها الموت فجأة من فرط الحزن .
- يا حضرة الضابط مر بشد وثاق هذين الرجلين ،
- واستياقهما إلى دار ليوناتو وسأسبقك إليه
- لأعرض التحقيق عليه . (بخج)
- دوجبري : هيا أوثقوهما .
- فارجس : وضعوا الأغلال في أيديهما .
- كونراد : بعداً لك أيها المأفون .
- دوجبري : لى الله . أين الكاتب
- ليدون قوله عن خادم الأمير مأفون .
- هلموا شدوا منهما الوثاق . . . أيها الوغد الأثيم .
- كونراد : بعداً لك . . . إنك لحمار . . . إنك لحمار .
- دوجبري : ألا تحترم مركزي ، ألا توقر سني .
- ليت الكاتب هنا ليكتب أني حمار .

ولكن تذكروا يا سادة أننى حمار
 وإن لم يدون هذا فى المحضر .
 لا تنسوا أننى « حمار » .
 كلا أيها الشقى إنك لملء ثوبك شرّاً وغدراً ،
 وسيثبت ذلك عليك بأقوال الشهود الصادقين ،
 إننى رجل عاقل ، وأكثر من هذا ضابط ،
 بل أكثر من ذلك رب بيت ،
 وأكثر من أولئك إنسان مهذب
 كخير من احتوتهم مسينا .
 ورجل يعرف القانون .
 وميسر الحال ، دعى أقل لك ،
 وامرؤ كسب فى حياته وخسر .
 وله رداءان لا رداء واحد .
 وعنده كل ما يسر ويرضى هلموا خذوه .
 . . ليتنى كتبت فى المحضر « حماراً » .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

أمام دار ليوناتو
يدخل ليوناتو وأنطونيو

- أنطونيو : إنك لمودٍ بحياتك إذا استرسلت على هذا النحو ،
وليس من الحكمة أن تعين الحزن على نفسك هكذا .
ليوناتو : أناشذك أن تكف عن نصحك ،
لأنه يقع في أذني موقع الماء في الغربال لا يجدي شيئاً .
لا تنصحنى ولا تحاول أن تسرى عني .
وجئني بمن تشبه فجيعة فجيعتي ،
جئني بأب أحب ابنته حبي ،
وكان فرحه بها عظيماً مثل فرحي ،
ودعه يحدثني عن الصبر ،
ويقس مصابه طويلاً وعرضاً بمصابي ،
ويوازن بين حزنه وحزني . وخطبته وخطبتي .
من كل ناحية ، ووجه . وشكل . وصورة .
فإن رأيته يبتسم . ويمسك بلحيته^(١) ليتكلم
فقل عندئذ للحزن توار .

(١) حركة يؤديها المرء حين يشعر بأنه قد اهتمى إلى كلام بديع سيقوله .

واطلب إلى الأسي أن يزول .
 فإن شهادته يئن أنيناً ، فخفف الحزن عنه بالحكم والأمثال .
 واغمر أصحاب الخطوب الكبار
 بأقوال العاكفين على الكتب ليل نهار .
 فلتأني به إن استطعت لآخذ عنه الصبر .
 ولكن هذا الرجل لا وجود له .
 لأن الناس يا أخي ينصحون ويواسون
 في الخطوب التي لا يشعرون هم بها .
 فإذا ذاقوا من صابها انقلبوا ثائرين ،
 وكانوا من قبل
 يقدمون الحكم والمواعظ علاجاً من كربتها .
 وما مثلهم في هذا إلا كمثل من يقيد المجنون الهائج
 بخيوط من حرير . ويزيل الألم بالنفخ فيه ،
 ويعالج العذاب الأليم باللفظ .
 كلا . كلا . لقد جبل الناس جميعاً على التحدث عن
 الصبر إلى من ينوعون بحمل الأسي .
 ولكن هيهات لأمري أن يسدى هذه النصائح
 إذا هو نفسه ذاق المصاب .
 فلا تنصحنى إذن . إن أحزاني أجهر صوتاً من النصائح .

- أنطونيوس : لا فرق إذن بين الرجال والأطفال .
- ليوناتو : أناشدك أن لا تكلمنى . إننى إنسان من لحم ودم .
وما رأينا يوماً حكيماً
استطاع أن يحتمل ألم الضرر صابراً .
وإن شهدنا الفلاسفة والحكماء
يكتبون أروع الكتب ويتوخون أبدع الأساليب ،
ويستخفون بصروف الدهر والأحزان .
- أنطونيوس : ولكن لا تلق التبعة كلها على كاهلك وحدك ،
بل دع الذين ظلموا يحملوا منه نصيبهم كذلك .
- ليوناتو : ها أنت ذا تقول حقاً . أجل . إني لفاعل .
فإن نفسى تحدثنى أن هير وقد ظلمت .
وسيعلم هذا كلوديو ، وسيعرفه الأمير
وجملة الذين افتروا عليها وثلموا عرضها .
- أنطونيوس : ها هو ذا الأمير وكلوديو قادمان مسرعين .

(يدخل دون بدر و كلوديو)

- دون بدر : طاب صباحك . طاب صباحك .
- كلوديو : طاب يومكما جميعاً
- ليوناتو : استمعا إلى أيها الأميران .
- دون بدر : إننا فى عجلة ، يا ليوناتو

- ليوناتو : في عجلة يا مولاي . أدعو لك بالتوفيق يا سيدي ،
متعجلان الآن . هذا شيء لا يهمني .
- دون بدرو : لا تشتجر معنا أيها الشيخ الكريم .
أنطونيو : لو استطاع بالشجار أن ينتصف لنفسه .
لهوى بعضنا من عليائه
- كلوديو : ومن الذي ظلمه ؟
ليوناتو : قسما إنك أنت الذي ظلمتني . أيها المرائي . . . أيها . . .
حذار . . . لا تضع يدك على مقبض سيفك .
فإني أخافك .
- كلوديو : شلت يميني . إن هي أخافت شيخاً في مثل سنك ،
يمين الله ، ما أرادت كني ، أن تصنع شيئاً لسيني .
- ليوناتو : أف لك يا رجل . أف لك . وحسبك .
لا تسخر مني ولا تهزأ بي .
فإني لست فيما أقول مخرفاً وما أنا بمأفون .
ولا أنا بمستغل سني للتفاخر
بما فعلت في الفتوة والشباب ،
أو أستطيع فعله لو لم أكن شيخاً مسنّاً .
إلا فاعلم يا كلوديو صراحة ،
أنك ظلمت ابنتي البريئة وظلمتني .

وليتي لمضطر أن أطرح وقارسني جانباً ،
 وأدعوك للمبارزة وإن كان رأسي قد اشتعل شيباً ،
 وإن كنت قد تلقيت كثيراً من الجراح .
 أكرر القول إنك قد ظلمت ابنتي البريئة ،
 ومزقت يافكك قلبها تمزيقاً ،
 فهي الساعة ترقد إلى جانب آبائها ،
 في قبر ما رقدت فيه الفضيحة يوماً من الأيام ،
 خلا هذه الفرية التي نسج الكيد لها الخيوط !

كلوديو : كيدي أنا ؟

ليوناتو : أجل . كيدك أنت يا كلوديو ، كيدك أنت

دون يدرو : أخطأت الصواب أيها الشيخ .

ليوناتو : مولاي . مولاي .

سأثبت صدق قولي فوق جثته ،

إذا هو اجترأ على مناجزتي ،

رغم براعته في فنون المجالدة ،

ودربته الطويلة عليه ، وريع شبابه ، وعنوان بأسه .

كلوديو : أغرب عني . ليس لي بك شأن .

ليوناتو : أتجرؤ على تنحيتي ؟ لقد قتلت ابنتي .

فإن تقتلني يا فتى تقتل رجلاً .

أنطونيو : بل سيقتلنا نحن الاثنين . أو سيقتل رجلين حقاً .
ولكن هذا ليس بأمر ذى بال ، دعه يقتل أحداً أولاً ،
خذنى وألبسنى ^(١) . دعه يبرز لى .

أقبل يا غلام واتبعنى . هلم يا سيدى الغلام . اتبعنى .
فإنى سائطك من عليائك فرديك ^(٢)
أى والله إنى لفاعل ، فعلة الرجل المهذب الشريف .

ليوناتو : أخى . . .

أنطونيو : هدى روعك . الله يعلم كم أحببت ابنة أخى .
فجاء الكيد الحسيس فقتلها . كيد الأوغاد اللثام ،
فليجرؤ على الخروج لرجل ،
جراتى على الإمساك بثعبان من لسانه ،
يا للصبيان ، ويا للقردة ، ويا للمتباهين ،
والمهاذير والبله الأغبياء الضعفاء . .

ليوناتو : أخى أنطونيو . . .

(١) يظهر أن هذا مثل كان معروفاً فى تلك الأيام ، وهو مركب من فطين من أفعال
الامر يبدأ كل منهما بحرف (w) ويقابلها فى العربية حروف « و » .
ولعله يقال فى معرض « التحدى » أى أن كنت ماهراً فلتجرب أولاً كيف تنالنى ، ثم افعل بى
بعد ذلك ما تشاء .

(٢) فى الأصل جاء شكسبير هنا باصطلاح كان معروفاً يونثذ فى فن اللعب بالسيف
ولعل المراد به من موقف التحصن الفنى الذى ستقفه وهى تهكم من أنطونيو ببراعته .

أنطوني

: لا تثر . . . تكلم يا رجل ، إني أعرفهم .
 وأعرف موازينهم ، وأقدارهم ، إلى أصغر أجزائها .
 إنهم غلطة مغرورون صفيقو الوجوه ،
 إخوان حذقة وزخرف ،
 كل همهم الكذب والمين والسخرية والدس والكيد ،
 إنهم ليمشون بين الناس مهرجين ،
 ويكثرون من التهديد والوعيد .
 ويتحدثون عن شجاعتهم في منازلة الحصوم ،
 ومقارعة الأعداء إذا جرءوا على لقاءهم ،
 هذا هو كل ما عندهم .

ليوناتو

: ولكن يا أخى أنطوني . . .

أنطوني

: لا تراع . ولا تتدخل . دعنى لهذا الأمر وحدى .

دون بدرو

: أيها السيدان . . . لن نستفزكما .

إن فؤادى لمحزون لموت ابنتك .

ولكنى أقسم بشرفى أنها لم تتهم ،

إلا بما وقع حقاً ، وقام عليه الدليل القاطع .

ليوناتو

: مولاي ! مولاي !

دون بدرو

: لن أستمع لك .

ليوناتو

: لن تستمع لى . هلم يا أخى . سأعرف كيف أسمعهما قولى !

أنطونيو : وسيستمع أو ليهلكن بعضنا لهذا السبب

(يخرج ليوناتو وأنطونيو)

دون بدرو : انظر . انظر ! ها هو ذا الرجل الذى كنا نبحث عنه .

(يدخل بنيديك)

كلوديو : ما وراءك يا سنيور ؟

بنيديك : طاب يومك يا مولاي .

دون بدرو : مرحباً يا سنيور . لو تقدمت لحظة لكدت تشترك في مبارزة .

كلوديو : لقد كدنا نفقد أنفينا في مجالدة مع شيخين ترمت أسنانهما .

دون بدرو : ليوناتو وأخوه . فما رأيك . أحسبنا أن فعلنا ،

أصغر من أن نقاتلهمما . . .

بنيديك : لا كرامة ولا منة في معركة ظالمة . لقد جئت أبحث عنكما .

كلوديو : لقد بحثنا عنك في كل مكان لأننا مكتئبان أشد الاكتئاب .

ونريد أن تطرد الهم عنا . فهلا استخدمت فكاهتك ؟

بنيديك : هي في غمد سيني . فهل أسحبه ؟

دون بدرو : أتضع عقلك في جنبك ؟^(١)

كلوديو : ما فعلها أحد من قبل . وإن رأينا خلقاً كثيرين

قد اطرحوا عقولهم جانبا .

(١) يبدو من لحظة دخول بنيديك أنه جاء غاضباً يريد الاحتكاك بكلوديو وهو هنا

يتحدث عن سيفه ولكن الأمير اتخذ الأمر هزواً . فضى يسأله متهمكاً هل وضع عقله في جنبه
أى حيث يضع السيف .

ولكنى قائل لك ما أقول لجماعة العازفين والمنشدين ،
اسحب لتطربنا^(١) .

دون بدرو : فى الحق إنه ليلوح شاحب الوجه .

أمريض أنت أم مغضب ؟

كلوديو : ماذا بك . الشجاعة يا رجل ! ولئن قتل الهم الهرة ،

فلا يزال لديك قدر من خفة الروح يكفى لقتل الهم^(٢) .

بنيديك : إذا أنت وجهت فكاهتك إلى ،

فإنى ملاق الطعنة السريعة بمثلها أو أشد .

أناشدك أن تختار موضوعاً غير هذا .

كلوديو : بل اعطوه ريحاً آخر فقد انكسر بالعرض ريمحه^(٣)

دون بدرو : وحق هذا النهار^(٤) إن لونه يزداد امتقاعاً .

أحسبه فى سورة غضيب شديد .

(١) أى اسحب آلة العزف من صندوقها أو كيسها لتعزف ، وهذا رد ساخر من قول

بنيديك أنه سيسحب السيف من قرابه .

(٢) فى أمثال الإنجليز . كم قتل الهم هرة . كناية عن مبلغ أذى الهم وأثره فى النفوس ،

ولكن كلوديو هنا قلب المثل والمعنى أن خفة روحك كفيلة بقتل الهم .

(٣) إذا انكسر ريمح مبارز من عرضه كان هذا عيباً ومذمة له ولكنه إذا انكسر نصله

طولا فلا بأس وكل هذه استعارات من المجادلة بالريمح والسيف يريد كلوديو منها أن بنيديك
منهزم أمامه .

(٤) قسم مألوف فى تلك الأيام . وهو اقتصار من قسم آخر ، ونعنى به وحق الضياء

الذى خلقه الله .

- كلوديو : إن كان كذلك . فهو يعرف كيف يقلب حزامه^(١) .
- بنيديك : هل تسمح لي بهمسة في أذنك ؟
- كلوديو : حماي الله من المشاجرة !
- بنيديك : (منتحياً بكلوديو ناحية) - أنت وغد ، أقولها جداً لاهزلاً ،
وسأدلل على صحتها إن كنت تجترئ . وبأى شئ ء تجترئ .
وحين تجترئ ، فاقبل هذا التحدى منى .
وإلا أعلنت جبنك . لقد قتلت سيدة كريمة .
وسيقع وزر مماتها على رأسك .
دعنى أسمع منك متى نلتقى .
- كلوديو : ليكن ما تريد . سألاقيك حتى أستمع بمتعة طيبة .
- دون بدرو : ماذا ؟ أدعوة إلى مأدبة ، مأدبة ؟!
- كلوديو : يمين الله ، إنى له شاكر . فقد دعانى إلى رأس عجل ودجاجة .
فإن لم أبرع فى تقطيعهما البراعة كلها
فقل إن سكينى مثلم ولا يقدر .
ألن أجد على المائدة أيضاً دجاجة من دجاج الراج^(٢) .

(١) قلب الحزام إنما يكون عند الاستعداد للشجار أو المبارزة حتى يصبح قفله الآمى
عند ظهر لابس .

(٢) مهد الأمير بسؤاله « أدعوه إلى مأدبة » لنكتة لاذعة من كلوديو وهى أن خصمه
دعاه إلى رأس عجل ودجاجة . ثم مضى مع زرايته به يتابع الاستعارة بالسكين المثلم إذا لم يحسن
القطع وخرج من ذلك إلى نكتة أخرى وهى سؤاله خصمه هل سيجد أيضاً على المائدة طائراً آخر .

- بنيدك : إن النكتة يا سيدى مسعفتك .
- دون بدرو : إني لمنبتك بما مدحت بياتريس به مجانتك منذ أيام .
- قلت لها إنك ذوفكاهة ، قالت حقاً ولكنها قليلة محدودة .
- بل عظيمة قالت حقاً عظيمة خشنة .
- قلت كلا . بل حسنة رقيقة . قالت تماماً . فلا تؤذى أحداً
- قلت كلا إن السيد عاقل حكيم ، قالت هذا صحيح
- إنه مدعى الحكمة ادعاء .
- قلت إنه ينطق بعدة ألسن^(١) قالت هذا ما أعتقده .
- فقد حلف على شيء ليلة الاثنين
- وحنث في حلفه صباح الثلاثاء .
- هذا لسان مزدوج . أو قل لسانان .
- وهكذا لبثت ساعة تشوه مزاياك ،
- وانتهت آخر المطاف بقولها وهى ترسل زفرة
- إنك أملح رجل فى إيطاليا كلها .
- كلوديو : وعندئذ بكى من كل قلبها وقالت إنها لا تحفل بك .
- دون بدرو : أجل . هذا ما قالت ، ولكنها قالت مع ذلك
- إنها إذا لم تمقته إلى حد الموت
- فهى تحبه إلى حد الإعزاز .

(١) إشارة إلى معرفته عدة لغات . ولهذا جمعنا اللسان هنا على أسن لا على أسنة .

لقد نبأتنا ابنة الشيخ بكل شيء .

كلوديو : بكل شيء ، ولا تنس كذلك أن الله رآه

حين كان مختبئاً في الحديقة^(١) .

دون بدرو : ولكن متى ستنبئ قرون العجل الوحشي ،

في رأس بنيديك العاقل^(٢) .

كلوديو : أي نعم . وضع هذه الكلمات تحت الصورة

« هنا يسكن بنيديك البعل » .

بنيديك : إلى اللقاء يا فتى . أنت عارف ما أقصده .

وإني لتاركك الآن لثرتك وفكاهتك السمجة .

إنك لتكسر النكت كما يكسر الأدعياء الثرثارون

سيوفهم . وهي بحمد الله لا تؤذي ولا تجرح .

وأنت يا مولاي . إني لشاكر لك صنائعك الكثر ، ومننك

الغر ، فأني مضطر إلى التخلي عن رفقتك .

إن أخاك النغل قد فر من مسينا .

وقد اشركتما في قتل سيدة بريئة كريمة .

(١) مأخوذ من التوراة في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث العدد العاشر وهو قول آدم لربه « سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخترت » .

(٢) أي متى سنزوجه . وهو قول أراد به تذكير بنيديك بما قاله عن كراهيته للزواج من قبل .

وأما هذا المولى الأمرد فسألتنى به . .
وإلى أن نلتقى . . . سلام عليكم !

(يخرج)

- دون بدرو : إنه يجلد .
كلوديو : أشد الجلد . أوكد لك أن هذا مرده إلى حب بياتريس .
دون بدرو : ولقد دعاك إلى المبارزة .
كلوديو : أصدق ما تكون الدعوة .
دون بدرو : ما أحرق الرجل الذى يستر بجسده صدره وجوربه ،
ويتجرد من عقله^(١) .
كلوديو : وهو فى هذه الحال إذا قيس بالقرد ، عملاق ،
ولكن القرد إذا قيس به ، حكيم^(٢) .
دون بدرو : ولكن لنكف عن هذا ودعنى أستجمع فؤادى لنأخذ فى

(١) أى أنه مجنون فيما يفعل ، وفى الأصل ، الرجل الذى يمشى فى صدره وجوربه ويدع العقل عارياً أو يخلع العقل عنه .

(٢) هذه العبارة وسابقتها محيرتان وقد شرحها أحد المفسرين اجتهاداً بقوله ما أعجب حال الرجل الذى يركب حصانه وهو مرتد صدره منتعل حذاءه الطويل . تاركاً عقله مع رداءه المخلوع إنه ليلوح فى هذه الحال بطلا فى عين الأحمق أو الأبله لأن القرد هنا هو المأفون أو العايب المهذار ، ولكن هذا فى الحقيقة وسيلة صالحة أو دواء مفيد يجعله يضحك من نفسه ويتبين حماقته .

الجلد^(١) ألم يقل إن أخى قد فر ؟

(يدخل دوجبرى وفارجس والحراس ومعهم كوزراد و بوراشيو)

دوجبرى : تعال هنا يا سيد . وإذا لم تقلم العدالة أظافرك . فلن ترجح كفتها يوماً فى الميزان^(٢) .

وإذا كنت يوماً منافقاً شتاءً لعينا ،

فلا بد من النظر فى أمرك .

دون بدرو : ماذا أرى . رجلان من أتباع أخى موثقان .

وهذا بوراشيو أحدهما ؟

كلوديو : إصنع إلى أقوالهما وألق بالك إلى سماع تهمتها يا مولاي .

دون بدرو : أيها الضباط . ما الذى ارتكبه هذان الرجلان ؟

دوجبرى : قسما يا سيدى . لقد شهدا زوراً فضلاً عن قول الكذب ،

وثانويئاً^(٣) إنهما مفتريان .

و « سادساً » وأخيراً إنهما قالوا إفكاً فى حق سيدة . وثالثاً

أنهما قررا أموراً فرية ، وفى الختام

إنهما من الكذابين الأوغاد اللثام .

(١) يقصد لنطرح جانباً جميع المسائل الصغيرة ولننتبه إلى مواجهة مسائل خطيرة .

(٢) فى الأصل « إذا لم تروضك العدالة » فلن تحمل فى ميزانها بعد اليوم زبياً وقد نطقها هذا الجاهل قائل « أسباباً » لأنها فى الإنجليزية ريزنس والزبيب ريزنس وفى برحمبا هكذا مناسبة .

(٣) هكذا نطق بها وهو يقصد طبعاً أن يقول « ثالثاً » .

دون بدرو : ألا - أسألك ماذا فعلا ؟ و « ثالثاً » ما ذنبهما ؟ -

و « سادساً » وأخيراً لماذا قبضت عليهما ؟

وفي الختام بأي شيء تهمهما ؟

كلوديو : أحسنت السؤال . وأجدت التفصيل على الطريقة ذاتها ،

والحق أنك أتيت بالمعنى الواحد في عدة صور .

دون بدرو : إلى من أسأتما أيها السيدان حتى ربطوكما بأقوالكما^(١)

على هذا النحو ؟

إن هذا الشرطي العالم لأعلم من أن يفهم . نبثاني ماتهمتكما .

بوراشيو : أيها الأمير الكريم . لا تدعني أمعن في القول واستمع لي

وأذن للكونت في قتلي .

لقد أضللت عينيك ذاتهما ، ولكن ما عجزت حكمتك

عن كشفه ، قد فضحه هؤلاء المعاتيه السذج ،

فقد استرقوا علينا السمع ليلاً ، وأنا أعترف لصاحبي هذا

بأن أخاكم دون جون حرضني على الوشاية بالسيدة هير و .

وكيف سيق بك إلى الحديقة فرأيتني أتغزل في مرجريت

وهي في زي هير و .

ومضيت تشهر بها بينما كان عليك أن تراها زوجاً .

وقد دون هؤلاء الأشراف تفاصيل جنائتي .

(١) تعبير جميل عن تقييدهما هكذا .

- وإني لأؤثر أن أختتمها بموقى ،
 على ما ينالني من العار بترديدها .
 لقد ماتت السيدة نتيجة فعلتي ، وفرية سيدى ،
 وليست أبغى غير جزاء الوغد الأثيم لى عقاباً .
 دون بدرو : ألا يجرى هذا القول كنصل السيف فى دمك ؟
 كلوديو : لقد كان سماً شربته وهو يفوه به .
 دون بدرو : ولكن هل أخى هو الذى حرضك على هذا الجرم ؟
 بوراشيو : نعم . وأجزل لى العطاء على تنفيذه .
 دون بدرو : لقد طبع على الغدر وركبت الخسة فيه .
 وها هو ذا قد فر عقب أن اقترف جريمته .
 كلوديو : أواه . يا هير و المحببة . إن صورتك لتبدو الساعة
 فى تلك المعالم النادرة التى أحبتها أول مرة .
 دوجبرى : هلموا عودوا بالمجرمين . ولا بد أن يكون كاتبنا قد أبلغ^(١)
 السنيور ليوناتو الآن بجلية الأمر وأنتما يا سيدان، لا تنسيا
 فى الوقت والمكان المناسبين أن تقررا أنى ... حمار ...
 فارجس : ها هو ذا السيد السنيور ليوناتو قادم، والكاتب أيضاً ...
 (يدخل ليوناتو وأنطونيو ومعهما الكاتب)

(١) انظر إلى قوله « كاتباً » فهى على هذا التفخيم مضحكة وقد نطق بكلمة « أبلغ »
 informed محرفة فقال أى أصلح .

- ليوناتو : أيها الشقى الأثيم . . . دعونى أر عينيه ؟
لكى أتحاشى مَن يشبهه ،
إذا التقيت به . أى هذين الرجلين هو ؟ . .
- بوراشيو : إن أردت أن تعرف الذى بغى عليك فانظر إلى .
ليوناتو : أأنت العبد الذى قتلت « بوشايتك » ^(١)
ابنتى البريئة الطاهرة ؟
- بوراشيو : نعم أنا وحلى .
ليوناتو : كلا . ليس الأمر كذلك أيها الشقى . إنك لظالم لنفسك
فهما هذان سيدان شريفان ،
ومعهما ثالث لاذ بأذيال الفرار .
إننى أيها الأميران لشاكر لكما مصرع ابنتى ،
فلتدونا في سجل ما تركنا المحيطة السامية .
لقد فعلناه بشجاعة إذا كنما تذكرا .
- كلوديو : لست أدري كيف أطلب إليك صبراً .
ولكن لا مفر لى من الكلام . فلتختر بنفسك وسيلة تأرك ،
وافرض على ما يبتكره خيالك من عقاب ^(٢) ،
جزاء الذنب الذى اقترفته .
وإن كنت لم أقترفه إلا عن خطأ .

(١) فى الأصل بأنفاسك والمعنى بأقوالك ووشايتك .

(٢) فى الأصل ما تبتكره أو نحو ذلك .

دون بدرو : ونفسي التي بين جنبيّ . إنني أيضاً قد اقترفته عن خطأ.

ولكني مرضاة لهذا الشيخ الكريم ،
مُتَمِّقَةً بِبَلِّ أَيْ عَمَّابٍ هُوَ فَارِضُهُ .

ليوناتو : ليس في إمكاني أن أطلب إليكما أن تردا

ابنتي إلى الحياة لأن هذا مستحيل .

ولكني أناشدكما أن تعلنا على الملأ في مسينا
أنها ماتت طاهرة الذيل .

وإن هَدَاكُمَا وحى الشاعرية إلى مرثية ،

فعلقاها على قبرها ؛ وغنياها لعظامها . أنشداها الليلة .

فإذا كان صبح الغد فتعاليا إلى داري .

وما دمت لا تستطيع أن تكون لابنتي زوجاً ،

فلتكن زوجاً لابنة أخي ،

فإن لأخي ابنة — تكاد تكون صورة أخرى لفقيدي .

وهي ورثتنا الوحيدة أنا وأخي^(١)

فاخلع عليها من الحقوق ،

ما كنت موشكاً أن تخلعه على ابنة عمها .

(١) لعل هذا سهو من شكبير فقد نسي أن لأنطونير ولداً كما أورد في المشهد الثاني من الفصل الأول على لسان ليوناتو حين سأل أخاه « وأين ابن أخي ولدك » . أو لعل هذا الولد مات بعد ابتداء القصة فأصبحت ابنة أخيه هي الوريثة دون سواها . أو لعله مجرد إغراء وإن لم يكن صحيحاً .

وكذلك تزول ترقى^(١) وتشقى موجدتى ،

كلوديو : أيها السيد الكريم :

إن حنانك البالغ لينترع من عينيّ الدمع انتزاعاً ،
وإني لمتقبل ما عرضت ،

فافعل بعد الآن بكلوديو المسكين ما أنت فاعله .

ليوناتو : وإذن فإننى مرتقب غداً مقدمكما .

وأما الليلة فاستأذنكما ،

وسنواجه هذا الرجل الخبيث بمجرى

التي أعتقد أنها ورّطت في هذا الإثم

الذى استأجرها أخوك له .

بوراشيو : كلا . ونفسى التي بين جنبي إنها لم تشترك فيه ،

ولم تُورّط ولم تكن تعرف شيئاً حين كلمتني ،

وعهدى بها أبدأ الوفية الفاضلة .

دوجرى : وفضلاً عن هذا يا سيدى ،

إن هناك شيئاً آخر لم يسجل في كتاب ،

وهو أن هذا الجاني^(٢) المائل أمامكما سمانى حماراً ،

ورجائى أن تذكروا ذلك عند تقرير عقوبته .

(١) ترو على وزن سنة من الأسن هي السبب الموجب للثأر أو الموحدة .

(٢) سماء في الأصل « الشاكى » كما وصفه هو وزميله كذلك في موضع سابق .

وقد سمعهما الحرس أيضاً يتحدثان
عن شخص يدعى « المشوه » .
ويقولان إنه يلبس « مفتاحاً » في أذنه
ويعلق قفلاً به^(١) ،

ويستقرض الناس باسم الله ويكرر القروض ولا يردها ،
حتى قست قلوب الناس فلم يعودوا يقرضون الله شيئاً .
أناشدكما أن تبحثا في هذه النقطة .

ليوناتو : أشكر لك عنايتك وهمتك .

دوجبرى : إن سيادتكم تتكلم كأحسن الشباب ،
شكراً وتقديراً وأنا أحمد الله إليك .

ليوناتو : خذ جزاء عنائك .

دوجبرى : ليبارك الله لصاحب هذا البيت^(٢)

ليوناتو : اذهب وأنا معفيك من سجينك وشاكر لك .

دوجبرى : إننى تارك لديك شقيماً ضالاً . وأرجو أن تقتص
لنفسك منه ليكون عبرة لغيره .

(١) وردت هذه الحكاية في الفصول السابقة حين ظن الحارس أن كلمة « المشوه » هي اسم شخص معين . ورتب على هذا الظن معرفته للص يسمى بهذا الاسم ذاته .
(٢) نطق هنا بكلمة foundation أى الأساس ولكن المعنى هو ما أوردناه أى المؤسس أو رب البيت ، وقد كان من عادة المتسول إذا أعطى صدقة وهو عند باب الكنيسة أن يدعو لمنشئها بالخير .

ليحفظك الله . وأتمنى لك الخير . ورد الله إليك العافية .
 وبكل خشوع أستأذنك في الانصراف^(١) .
 وأدعو الله أن أراك في أحسن الأوقات . هلم بنا أيها الجار .
 (يخرج دوجبرى وفارجمن)

ليوناتو : وداعاً أيها الموليان إلى صباح غد .
 أنطونيو : وداعاً أيها السادة ، إننا في انتظاركما غداً .
 دون بدرو : لن نتخلف .
 كلوديو : سأقضي الليلة في التفجع والأسى على هيرو ،
 ليوناتو : (إلى الحرس) سيروا بهذين ،
 الرجلين حتى نتحدث إلى مرجريت ،
 لنعلم كيف عرفت هذا الوغد الأثيم .
 (ينصرفون)

(١) كل هذه العبارات جاءت منه محرفة وكلها أغلاط في مبناها . حتى في كلمة
 أستأذنك . قالها أعطيك الأذن في الانصراف . وقوله أدعو الله تبدو أقرب إلى قوله « المياذ بالله »
 أو أريجو الله أن يمنع ذلك .

المنظر الثاني

حديقة دار ليوناتو

يدخل بنيديك ومرجريت فيلتقيان^(١)

- بنيديك : أرجوك يا عزيزتى مرجريت أن تسدينى صنيعاً ولك عليه
أحسن الجزاء . أعينينى على التحدث إلى بياتريس .
- مرجريت : هل ستكتب لى أغنية تتغزل فيها بجمالى إن أنا فعلت ؟ . .
- بنيديك : فى أبداع أسلوب لا يأتى إنسان بشيء فوقه يا مرجريت ،
لأنك والحق يقال ، تستحقين هذا المديح .
- مرجريت : أتقول إن إنساناً لن يأتى بشيء فوقى . . . يعنى أننى سأظل
دائماً تحت السلم^(٢) .

(١) هذا المنظر لم يكن ضرورياً ولكن شكسبير جاء به للانتفاع بالفترة التى ستسبق
زيارة دون بدرو وكلوديو « قبر » هير و تلبية لدعوة أبيها . وفى هذا المشهد يلتقى بنيديك
بمرجريت فيطلب إليها أن تدعو بياتريس . وعندئذ يبدأ بين هذين العاشقين حوار بديع ندرك
منه مدى تطور العلاقة بينهما .

(٢) أخذتها الجارية على معنى آخر ، فقالت هل سأتبقى خادماً « أى تحت السلم » فلا
تزوج فى يوم من الأيام .

- بنيدك : إن النكتة لديك سريعة كفم كلب الصيد. حين يلتقط... (١)
- مرجريت : ونكتتك مثلمة « كسيف » اللاعب .
- تصيب ولكن لا تجرح .
- بنيدك : نعيم النكتة وما أخلقها أن تصدر من رجل يا مرجريت ،
- إنها لن تجرح امرأة ،
- ولهذا أناشدك أن تنادى بياتريس . إننى أسلم لك دروعى .
- مرجريت : هات لنا السيوف ، فلدينا دروعنا (٢) .
- بنيدك : إذا استخدمتها يا مرجريت فاربطى الرماح بالمنجلة لأنها
- أسلحة خطيرة على الفتيات (٣) .
- مرجريت : سأدعو لك بياتريس . إن لها ساقين تسير عليهما .
- بنيدك : ومن أجل هذا ستجىء .
- (يغنى) يا إله الحب ، يا من تجلس فى عل ،
- أنت العليم بأنى للشفقة مستحق . . . (٤)

(١) أى تلتقطين النكتة بالسرعة ذاتها الى يلتقط بها كلب الصيد الأرنب وهو يطارده .

(٢) أى أنها أحسن ما تكون النكتة من رجل لأنها تجرح امرأة وقوله لها « إننى أسلم دروعى » استعارة يريد بها أن يقول إنه منهزم أمام مكنتها وكان ردها أن لدينا دروعاً ولكن ليست لدينا السيوف فهى التى تنقصنا معاشر النساء .

(٣) أى بمسماز محذى لكيلا يحدث أذى .

(٤) هذا مطلع أغنية قديمة لا شك فى أنها كانت معروفة تغنى على المسارح فى عهد المؤلف وقد وضعها ويليام الدرتون ولم يبق منها اليوم غير قطعة تسمى « شكوى آثم » .

أعنى فى الغناء .

أما فى الحب فإن لىاندر^(١) السباح الماهر ،
وترويلاس^(٢) أول من استعان فى الهوى بالرسل والوسطاء ،
وسائر معاشر الفرسان الجلوس على الأبسطة^(٣) ،
وتجار الكلام الذى تملأ أسمائهم كتاباً كاملاً .
وتجرى سهلة هينة فى طريق الشعر المرسل . .
فلم يغلبهم الحب على أمرهم ، قدر ما غلبنى -
ولم يستحوذ عليهم مثل ما استحوذ على خاطرى .
بمينا لئننى لعاجز عن وصف حبي شعراً :
ولطالما حاولت فلم أجدر فى القوافى كلمة ،
على وزن « سيدة » غير « وليدة » ،

(١) لىاندر عاشق هير و كاهنة فينوس ربة الجمال وكان من عادته أن يسبح ليلا
لزيارتها ثم يعود قبل مطالع النهار . ولكنه فى ذات ليلة والرياح عاصفة هلك فى سبيل تنفيذه
عهده وهو زيارتها كل ليلة . وقد أتى اليم بحمته على الساحل فلم يكن من حبيبته هير و إلا أن
وثبت إلى اليم فكانت من المفرقين .

(٢) أحد أبناء الملك بريام عاهل طروادة وقد أحب كريسيدا ابنة الكاهن كانثاس
وهى ألمانىة أسرها الطرواديون . وقد استعان على التعرف بها بعمه بانداراس ومن هناك الوسيط بين
الرجل والمرأة .

(٣) غمزة فى الفرسان الذين مجلسون فى الأهواء وقاعات الجلوس المفروشة بالبسط
يتحدثون عن فعالهم والوقائع التى خاضوها . وإن كان مكانهم المعارك وميادين القتال .

ولا وقعت من الأوزان الصادقة غير المتكلفة للفظة « سخرية »
 إلا على « قرون ملتوية » ،
 ولا لكلمة « مدرسة » غير « ذى لوثة » ،
 إن الشعر للمعون الخواتيم ،
 كلا لا أحسبني ولدت وفي طالعي أنى سأكون ناظماً
 للقوافي ، ولا أنا على الغزل بالكلام المنمق قدير^(١) .

(تدخل بياتريس)

بنيديك : يا عزيزتي بياتريس - أرضيت المحبىء حين دعوتك ؟
 بياتريس : نعم يا سنيور ، وسأنصرف حين تأمرنى .
 بنيديك : أواه ، فلتمكنى إلى هذا الحين^(٢) .
 بياتريس : لقد قلتها ، فوداعاً الآن ،
 ولكن قبل أن أذهب دعنى أنصرف بالذى جئت له ،
 وهو أن أعرف ما الذى جرى بينك وبين كلوديو .
 بنيديك : كلمات كريهة ليس أكثر . وعليها سأقبلك .
 بياتريس : الكلمات الكريهة كالريح الكريهة ، والريح الكريهة
 إن هى إلا الأنفاس الكريهة ، وهذه خبيثة مستكرهة .

(١) يصف شكسبير هنا البناء الذى يجده فى الاهتمام إلى كلمات تصلح للقوافي والرد
 وهو فى هذا يأتى بكلام لطيف ليخرج منه إلى القول بأنه لم يولد شاعراً .
 (٢) أى حتى أمرك .

ولهذا سأنصرف من غير أن أقبّل .

بنيدك : لقد أخفت الكلمة ذاتها فأخرجتها من عقلها^(١) ،

إن فكاهتك لقوية شديدة . ولكنى مصارحك الحقيقة :

إن كلوديو مرتبط بالتحدي الذي وجهته إليه ،

فإما أن أتلقى قريباً جوابه ، أو أعلن أنه نذل جبان ،

والآن أناشدك أن تنبئني أى

مساوى حملتك أولاً على حى ؟

بياتريس : كلها مجتمعة ، فقد احتفظت بحال من السوء جعلها

لا تقبل أية حسنة تختلط بها .

وأنت خبرنى أى محاسنى حملك أولاً

على أن « تعانى » حى ؟

بنيدك : « أعانى » الحب ! . كلام جميل . إننى أعانى الحب حقاً

لأننى أحبك رغم إرادتى .

بياتريس : على كره من قلبك . . . وأسفاه لهذا القلب المسكين . .

إذا كنت له كارهاً من أجلى . فإنى له كارهة من أجلك .

لأننى لن أحب أبداً ما يكرهه صاحبي .

بنيدك : أنا وأنت من فرط العقل بحيث لا نقدر على غزل رقيق .

بياتريس : ولكن هذا العقل المفرط لا يبدو فى هذا الاعتراف ،

(١) أى من معناها الأصل .

ولن تجد بين عشرين رجلاً ،
رجلاً واحداً يمدح نفسه كما فعلت .

بنيديك : تلك حكمة قديمة ، جد قديمة يا بياتريس ، وجدت
حين كان الناس صالحين لا يحسد بعضهم بعضاً ، إن المرء
إذا لم يبن الآن قبره قبل مماته ، فلن يحيا في الذاكرات
أطول أمداً مما يستغرقه دق النواقيس بمنعاته ، وبكاء
الأرملة لوفاته .

بياتريس : وكم يطول هذا في ظنك ؟

بنيديك : هذا هو السؤال ، ساعة في دق أجراس ورنين ، وبعض
ساعة في بكاء وأنين ، فن الخير للعاقل أن يعلن عن
فضائله كما أعلن أنا عنها ، وذلك إذا لم يحل شيء بين
الإنسان طعمة اللديدان^(١) وبين هذا الإعلان .

— وحسبي ، هذا في مديح نفسي الجديرة

في شهادتي لها بكل مديح وثناء .

والآن نَبِّئْنِي كيف حال ابنة عمك ؟

(١) أحد المسميات الغربية التي أولع شكسبير بابتكارها . وقد مرت بك منها أمثلة ،
وهو هنا يسمى الإنسان « دن ويرم » أي السيد دودة وقد رأينا أن نجعلها كما ترى « طعمه
للديدان » كأحسن تسمية للإنسان .

- بياتريس : جد عليلة .
- بنيديك : وكيف حالك أنت . . .
- بياتريس : جد عليلة كذلك .
- بنيديك : اتقى الله وأجيبني وإسأليه لنفسك صلاحاً ،
والآن أتركك لأنى أرى إنساناً قادماً نحونا مسرعاً .
(تدخل أرسولا)
- أرسولا : مولاتى - تعالى إلى عملك ، إن فى البيت حركة
قلما شاهدت مثلها .
- لقد ثبت أن مولاتى هير و قد اتُهمت زوراً وبهتاناً ،
وأن الأمير وكلوديو ضللاً مبيئاً ،
وأن دون جون أسّ هذا البلاء كله قد فر هارباً .
هلمى إليه فى الحال .
- بياتريس : ألا تأتى لتسمع هذا النبأ يا سنيور .
- بنيديك : سأحيا فى قلبك ، وأموت فى حجرك ، وأدفن فى عينيك ،
وإلى جانب هذا كله سأذهب معك إلى عملك .
(يخرجون)

المنظر الثالث

في الكنيسة

يدخل دون بدرو وكلوديو وثلاثة أو أربعة
يحملون شموعاً

كلوديو : أهذه هي مقبرة آل ليوناتو ؟

أحدهم : نعم يا مولاي .

كلوديو : (يقرأ في رق مسطور)

« ذهبت ضحية ألسنة السوء ،

هيرو التي ترقد في هذا المكان ،

فإن الموت إنصافاً لها من الظلم الذي حاق بها ،

قد وهبها مجداً لن يموت .

وكذلك راحت الحياة التي ماتت بعار

تحيا في الموت بمجد وفخار .

قفوا على هذا القبر وترحموا عليها .

واذكروا محاسنها . إذا انعمد لسانی فلم أجد كلاماً .

ويا أيتها الموسيقى اعزنى واصدحى سلاماً
وانشدى أغنيتك المقدسة لحناً وأنغاماً

أغنية

يا ربة الليل^(١) صفحاً وغفراناً
للذين قتلوا فارسك العذراء^(٢) ؛
وجاءوا من حول قبرها طائفين
ليغنوا غناء المكروب الحزين
ويا أيها الليل البهيم أعنا على الأنين .
وحسرات المتحسرين .
ويا قبور تناءبى ، وانمطى موتاك
إلى أن يُنادى بالموت مهزوماً مدحوراً .
كلوديو : والآن طاب ليل أعظمك ، وإني لمعاهلك
أن أقف كل عام وقفى هذه بقبرك . . .
دون بدرو : طاب صباحكم أيها السادة ، أطفئوا مشاعلكم .
إن الذئاب قد فرغت من الفتك بفريساتها ، وانظروا ،

(١) هي ديانا ربة العفاف والصيد . وكانت تدعى أيضاً ربة القمر .

(٢) أى هيرو التى أصبحت بعد موتها بفضل عفافها « فارسة » فى خدمة ديانا .

إن الصبح حول مراكب فيبوس طائف^(١)

يرقط المشرق الومنان ببقع شهب .

شكراً لكم جميعاً . واتركونا . . وداعاً .

كلوديوس : طاب نهاركم أيها السادة ، وليأخذ كل منكم سبيله .

دون برونو : هلم بنا من هذا المكان . لنرتدى ثياباً غير هذه الثياب ،
ونذهب إلى دار ليوناتو .

كلوديوس : ويا إله القران . أسرع بنا الآن إلى حظ أسعد

من الذي . ثمتا نؤدي له هذه التحية محزونين .

(يخرجون)

(١) إشارة إلى الإله فيبوس وهو يقود مركبة الشمس كل يوم من المشرق إلى المغرب ،
وقد سبقت هذه العبارة عبارة أخرى وهي أن النهار قد طلع والذئاب قد انتهت من الفتك بفريساتها
لأنها لا تنجس إلا ليلاً .

المنظر الرابع

في إحدى حجرات دار ليوناتو
يدخل ليوناتو وأنطونيو وبنيديك وبياتريس
ومرجريت وأورسولا والقس فرانسيس وهير و

- القس : ألم أقل لك إنها بريئة ؟ . .
- ليوناتو : وكذلك الأمير وكلوديو اللذان اتهمهما
على أساس القرية التي سمعنا نتحدث عنها .
ولكن بعض الذنب واقع على مرجريت في هذا الأمر
وإن أتى على غير إرادتها .
كما يبدو من مجرى التحقيق وتتابعه .
- أنطونيو : لأنني لمغتبط بأن الأمر انتهى بخير .
- بنيديك : وأنا كذلك . وإن كنت برأ بعهد عاهدته
قد دعوت الفتى كلوديو إلى الحساب على فعلته .
- ليوناتو : والآن . يا ابنتي ، ويا أيتها السيدات كلكن ،
اذهبن فانفردن بأنفسكن في حجرة أخرى .

وحين أدعوكن ، تعالين مخفيات وجوهكن .

(تخرج النساء)

لقد وعدنى الأمير وكلوديو أن يزوراني فى هذا الموعد

وأنت يا أخى تعرف الدور الذى ستضطلع به .

وهو أن تكون أباً لابنة أخيك .

وتسلمها للفقى كلوديو .

أنطونيو : وإنى لفاعل ذلك قوى العزيمة مطمئناً .

بنيديك : أيها القس . أرانى مضطراً إلى طلب معونتك .

القس : وماذا تريد أن أفعل يا سيدى ؟

بنيديك : أحد أمرين ، إما أن تربطنى أو تفكنى^(١)

الحق يا سيد ليوناتو الكريم

إن ابنة أخيك تنظر إلى بعين الرضى .

ليوناتو : إن هذه العين هى التى أعارتها لإياها ابنتى .

هذا هو الحق المبين .

بنيديك : وأنا بعين الحب أؤدى حقها على .

ليوناتو : أحسبى أنا الذى أخذت بصر هذه العين منه ،

كما أخذته من كلوديو والأمير^(٢) ولكن ما مشيتك ؟

(١) أى تزوجى بياتريس أو لا تزوجى .

(٢) أى الفضل لنا نحن الثلاثة فى هذا الأمر إشارة إلى ما فعلوه بالحيلة فى سبيل تحبيب

بياتريس وتحبيه إليها كما مر بك .

- بنيديك : إن جوابك يا سيدى كاللغز مستغلق .
 أما عن مشيئتك فهى مشيئتك ،
 وهى أن توافق على ارتباطنا اليوم
 برباط قران شريف لا عائب عليه ولا ذام ،
 وأرجو منك أيها القس التقى المعونة عليه .
- ليوناتو : إن قلبي معك .
 القس : ومعونتي لك .
 ها هوذا الأمير وكلوديو قادمان .
 (يدخل دون بدرو وكلوديو واثنان أو ثلاثة آخرون)
- دون بدرو : صباحاً مباركاً لهذا الجمع الكريم .
 ليوناتو : صباحاً أيها الأمير وعم صباحاً يا كلوديو .
 إننا هنا فى انتظاركما.. ألا تزال معتماً
 الاقتران اليوم بابنة أخى ؟ .
- كلوديو : سأبر بعهدى ، ولو كانت حبشية .
 ليوناتو : ادعها يا أخى . وها هوذا القس على استعداد
 (يخرج أنطونيو)
- دون بدرو : عم صباحاً يا بنيديك . ما خطبك
 ومالى أرى وجهك كأنه فى شهر فبراير ،

يلوح بارداً قائماً مليئاً بالجليد والعواصف والسحب الثقيل ٢

كلديو

: أحسبه يفكر في الفحل الهائج

ولكن اطمئن يا رجل ولا تخف ،

فستُعطَى طرفي قرنيك بالذهب .

ونجعل « يوروبا » بأسرها تلهو بك ،

كما هت يوروبا من قبلك بجوبيتر الشديد البأس ،

حين تمثل الوحش الكريم في الحب (١) .

بنيديك

: ولكن الفحل جوبيتر يا سيدى كان له حوار رفيق ،

وأما أنت فإن فحلاً غريباً وثب على بقرة أبيك ،

فأولدها بهذه الفعلة الكريمة عجلاً

أشبه شئاً بك لأن لك عين ثغائه .

كلديو

: هذه واحدة سأحاسبك عليها .

وها هي ذى أمور تتطلب التسوية .

(يعود أنطونيوس والسيدات ومن مقنعات)

أيهن الغانية التى ستكون لى ؟

أنطونيوس

: ها هي ذى . وأنا واهبك إياها .

كلديو

: إنها إذن لى . . . دعيني أنظر محياك أيتها الحسناء .

(١) إشارة إلى أن الخصومة التى بينه وبين كلديو لا تزال قائمة ولهذا بدأ بنيديك

متجهماً في وجه كلديو .

- ليوناتو : كلا . لن تفعل حتى تتناول يدها
 أمام هذا القس فتقسم أنك لمقترن بها .
 كلوديو : هاتى يدك . وأمام هذا القس الموقر ،
 أناذى أنى زوجك إن رضيت بى زوجاً .
 هيرو : (تحسر القناع عن وجهها) ، يوم كنت بين الأحياء ،
 كنت زوجك الأخرى ،
 وحين أحبيت ، كنت زوجى الآخر .
 كلوديو : أهيرو أخرى . . . ؟
 هيرو : لا شىء أكثر تأكيداً ،
 واحدة قضت بالإفك مدنسة ، أما أنا فأعيش ،
 ولا ريب فى أنى عذراء كما لا ريب فى أنى من الأحياء .
 دون بدرو : هيرو الأولى ! هيرو التى ماتت !
 ليوناتو : لم تمت يا مولاي إلا حين كانت القرية حية .
 القس : سأزيل هذه الحيرة كلها
 حين انتهى من مراسم القران المقدسة ،
 وسأشرح باستفاضة سر موت هيرو الحسناء .
 فدعوا العجب فى هذه الساعة ، واحسبوه من الأمور المألوفة
 وهلموا بنا من فورنا إلى الكنيسة .
 بنيديك : مهلاً أيها القس . مهلاً . أيهن بياتريس ؟ . .

- بياتريس : (حاسرة) هذا هو اسمي . فاذا تريد ؟
- بنيديك : ألا تحبينني ؟
- بياتريس : كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى
- بنيديك : عجباً . لقد كان عمك والأمير وكلوديو
مخلوعين حين أقسموا أنك تحبينني .
- بياتريس : أأست تحبني ؟
- بنيديك : في الحق . كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى .
- بياتريس : عجباً . لقد كانت ابنة عمى ومرجريت وأورسولا
مخدوعات كثيراً ، لأنهن أقسمن أنك تحبني .
- بنيديك : لقد أقسمن بأنك في حبي مدلهة أو تكادين .
- بياتريس : وقد حلفن أنك تكاد من حبي تفارق الحياة .
- بنيديك : لا شيء من هذا القبيل . إذن أنت لا تحبينني ..
- بياتريس : في الحق لا ، ولكن حب الصديق للصديق .
- ليوناتو : دعى عنك هذا يا ابنة أخى . إني لعلى يقين
بأنك تحبين السيد الكريم .
- كلوديو : وأنا أقسم أنه يحبها ،
وها هي ذى ورقة بخط يده ،
تحتوى أغنية متكلفة فاضت بها قريحته ،

موجهة إلى بياتريس .

هيو : وما هو ذا كتاب آخر
بخط ابنة عمى سرق من جيبتها ،
تصف فيه حبها لبنيديك .

بنيديك : يا للمعجزة ! . هاتان يدانا تشهدان على قلبينا . . .
اقبلي . فأني آخذك .

ولكن بحق هذا النهار إنى آخذك إشفافاً عليك .

بياتريس : لست أرفض سؤالك . ولكن بحق هذا النهار المضى ،
إنى ما رضيت بك إلا بعد حضن كثير .
ولكى أنقذ حياتك ، فقد نُبِّئت أن الحب أضناك .

بنيديك : حسبك . . . سأغلق فمك . (يقبلها)

دون بلرو : ماذا صنعت بنفسك يا بنيديك الزوج . . . ؟

بنيديك : سأشرح لك أمرى أيها الأمير . قل لو اجتمع على حشد
من محترفي الفكاهة ليسخروا منى ،

ويستنفرونى مما أريد لما استطاعوا أن ينالوا من مأربهم شيئاً .

هل تحسبني أحفل بهجو شاعر ، أو سخريه ساخر ؟

كلا ، إذا المرء استخذى لقول القائلين

وفكاهة الفكهين ، فلن يجد حوله شيئاً جميلاً .

- وجملة القول إننى ما دمت قد أردت الزواج
فإن آبه بما يقول الناس فيه .
ولهذا لا تعبث بى ولا تدكرنى بما قلت عنه كارهاً له ،
فقد خلق الإنسان حولاً قلباً ،
وهذا هو كل ما عندى قلته .
وأما أنت يا كلوديو فقد كنت معتزماً أن أقتلك ،
ولكن ما دمت ستصبح لى نسيباً ،
فعش سالماً وكن بابنة العم مغرماً .
كلوديو : لقد كنت أرجو أن تأبى على بياتريس ،
لكى أنتزع منك حياة الأعزب انتزاعاً ،
وأجعلك مراثياً ذا وجهين . وأنتك بلا ريب لتصبح كذلك
إذا لم تشدد ابنة العم الرقابة عليك . .
بنيديك : حسبك . حسبك . إننا اليوم صديقان ،
فلنستمع برقصة قبل القران .
لنخفف عن قلوبنا وأعقاب زوجاتنا .
ليوناتو : سيأتى الرقص بعد .
بنيديك : يمينا ليكونن أولاً . أيها الموسيقيون اعزفوا .
وأنت أيها الأمير أراك ساهماً . فاتخذ لك زوجاً .
اتخذ لك زوجاً .

فما رأينا في العصي أجمل ولا أروع من عصا في آخرها قرن ٥

(يدخل رسول)

الرسول : مولاي الأمير ، لقد قبض على أخيك أثناء فراره

وجيء به إلى مسينا مخفوراً .

بنيديك : لا تفكر فيه إلا غداً .

وسأبتكر عقاباً له يليق به ،

اعزفوا أيها العازفون .

(يبدأ الرقص وفي ختامه ينصرفون)

١٩٩٣ / ٨٥٠٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4233-0	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٢٨
 طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.